رسائل الإمام الفراهي

في علوم القرآن

المجموعة الأولى

للإمام عبد الحميد الفراهي
(١٢٨٠ـ ١٣٤٩هـ)

الدائرة الحميدية - مدرسة الإصلاح - سرای میر
اعظم كره (الهند)

من مطبوعات الدائرة الحميدية

رسائل الإمام الفراهي

في علوم القرآن

المجموعة الأولى

وهي تشتمل على ثلاث رسائل:

دلائل النظام، وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل

للإمام عبد الحميد الفراهي

ملتزم النشر والتوزيع:

الدائرة الحميدية - بمدرسة الإصلاح - سرائ مير

أعظم كره (الهند)

الطبعة الثانية
١٤١١هـ - ١٩٩١م

ثمن النسخة: ٦٥ روبية ......

مكتبة الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح
سرائ مير، أعظم كره (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و على آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فمن بواعث الغبطة و السرور أن تعيد الدائرة فى مجلد واحد وقشيب جديد طبع ثلاثة كتب قيمــة لمؤلفها العارف الربانى و العبقرى الموسوعى و الامام صاحب المنهج الخاص المعروف فى التفسير الامام الفراهى ، الذى كان مفخرة من مفاخر الهند ، و كان من أقطاب المفسرين و أفذاذ العلماء و المفكرين ، لقبه معاصروه « بترجمان القرآن » لعلو كعبه فى علم التفسير و تعمقه فى أغوار علوم القرآن و تذوقه لهـا ، و انقطاعه إلى تدبر القرآن الكريم و العكوف على دراسته و الاكباب على علومه وفنونه .

و من الجدير بالذكر أنه كان له مشروع مخطط مدروس فى الدراسات و الأبحاث القرآنية ، فالموضوعات التى كان ينوى معالجتها كانت ماثلة أمام عينيه ، ولكل بحث موضعه المحدد فى ذهنه ، فاذا لاح له رأى و اكتشاف جديد ، أو انحلت معضلة أشكلت عليه قيد ذلك و كتب عليه « من كتاب . . . . . . » حتى إذا استوفى البحث جميع أطرافه ، و اقتنع بدراسته فى نهاية المطاف تناوله بالترتيب و التنسيق فى صورة كتاب .

من هنـا برزت جميع تأليفاته غزيرة العلوم ، عميقة الجذور ، واضحة القسمات ، مشرقة الديباج .

و الكتب الثلاثة التى نوافيكم بها الآن فى صورة أنيقة وقشيب جديد كانت فى الواقع كتبا مستقلة ، أصدرتها الدائرة الحميدية نفسها ، وهى : دلائل النظام ، و أساليب القرآن ، و التكميل فى أصول التأويل ، و قد كان الشيخ بدر الدين الاصلاحى حلى جيد كل منها بمقدمته العلمية الرائعة التى لها أهميتها وقيمتها التى لا يستهان بها .

فأما « دلائل النظام » فقد وضع المؤلف هذا الكتاب الهام لذكر الدلائل على رأيه المعروف عن وجود الارتباط المنطقى التام و الوحدة الموضوعية الشاملة فى سورة القرآن الكريم و آياتها نفسها ، و احتج فى ذلك بما يلتزم أحدنا أن لا يكون حتى كلامه العادى مختل النظام و مفكك الرباط ، حتى أنه يعيد فيه النظر و يتناوله بالتهذيب و التنقيح بأوسع جهد ممكن إذا ما بداله فيما بعد شىء من الاختلال و التنافر و الانفكاك .

و يتضمن الكتاب — إضافة إلى ذلك — شرح الطرق التى ترشد إلى تذوق الوحدة و النظام ، و أهمها عنده التدبر فى القرآن تدبراً يستمد قوته و دافعيته من الايمان الصادق بالآخرة ولقاء الرب عز وجل .

و أخيراً يسلط الضوء على طرق استنباط علم النظام و مبادئه الموجهة بغاية من الدقة و البراعة ، حتى يعود الفصل فنا مستقلا يستند إلى أصول راسخة و أسس متينة مستنبطة من أساليب القرآن و قواعد اللسان .

و أما « أساليب القرآن » فيبحث فى وجوه الأساليب فى القرآن و مفاهيمها و مواقع استعمالاتها ، و قد كان الامام الفراهى وضع كتاباً آخر كتوطئة و استطراد لهذا الكتاب يعرف « بمفردات القرآن » الذى يبحث فى الألفاظ المفردة و يتناولها بكشف معانيها ، و وضع حدودها و قيودها ، و تجلية ملامحها و قسماتها ، و شرح لوازمها و عوارضها ، فبعد ما يفرغ

القارئ من معرفة الألفاظ المفردة يترقى إلى معرفة الجمل و التراكيب ، فهنا يأتى دور « أساليب القرآن » ليسلط الضوء الباهر على الطرق الموجهة لفهم دلالة التراكيب المختلفة الوجوه التى تدل عليها الأساليب المختلفة .

أول ما يتناول الكتاب بيان الأهمية الزائدة التى تحتلها الأساليب فى تأدية الكلام وفهم فحواه ، فقد تختلف العواطف الدافعة للكلام، ويتوقف تحديدها و تمييزها من عاطفة دون أخرى على معرفة الأساليب التى تتحكم تراكيب الكلام .

و الكتاب — دونما شك — قمة فى شرح الطرق و الوسائل التى يتمكن بها القارئ من معرفة دلالات الكلام و مفاهيمه ، و يتسنى له أن يحمل شعوره بجمال القرآن و أساليبه ألطف و أدق ، و تطلعه إلى دقته و إعجازه و براعته أضخم و أشد .

و من مزاياه — و هى كثيرة — أن كل ما يحتوى عليه من آداب القرآن و أساليبه إنما يبتنى على أساس متين و دعامة وثيقة من سنن كلام العرب الخالص و التوجيهات الرشيدة للقرآن الكريم .

فاذا عرفنا دلالة الألفاظ المفردة ثم دلالة التراكيب المتنوعة الأقسام التى تدل عليها الأساليب المختلفة بقى لنا تعيين المعنى المراد و تأويل القرآن الكريم إلى أوفق و أنسب معناه ، و ذلك أمر يتحقق بغاية من الجودة و الكمال بفضل هذه الرسالة التى إنما أفردها المؤلف لبيان أصول راسخة مبنية على قواعد اللسان و أساليب القرآن ، تعين على فهم المعنى المراد ، و ترشد إلى تأويل القرآن الكريم لصحيح معناه ، و تعصم من الزيغ و الانحراف فى التأويل و تحفظ عن التفسير بالرأى .

و كان الباعث على وضع هذه الرسالة القيمة ما رأى تضارب آراء العلماء فى فهم معنى القرآن و ذهابهم فى تأويله مذاهب شتى ، حتى جعلوه كتاباً متشابهاً ملتبساً ، و أدرك أن ذلك لا يرجع إلا إلى عدم تأسيس مبادئ و أسس ثابتة عامة للتأويل يعتمد عليها فى كل ما يستنبط من القرآن و ما يختار من معانيه المختلفة و ما يترك و ما يمكن فيه الجمع والتوفيق .

و فعلا قد وفق فى وضع مبادئ و أصول راسخة شاملة جاءت لتسد أبواب الخلاف فى فهم القرآن الكريم وتنفى الاحتمالات عن تأويله وتبرهن على قطعيته فى دلالته و فحواه .

الواقع أن طرفا من علم التأويل كان مستعملا فى فروع الشرائع كعلم جزئى ، و لكن لم يتم استخدامه فى فهم معانى القرآن كميزان يعتمد عليه ، فميزة هذا الكتاب أنه يبرز — بما احتوى عليه من المبادئ والأصول الراسخة — نبراسا للطريق و ميزانا يرجع إليه و معياراً يعتمد عليه ، ويتمهد به السبيل إلى فهم ربط معانى القرآن من نفس القرآن ، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، و ذلك أحسن و أحب — كما صرح بذلك الامام الفراهى نفسه فى مقدمة كتابه « مفردات القرآن » — من أن يتم تحقيق هذا الغرض بمساعدة تفسيره المعروف « نظام القرآن » ، فان العلم من طريق الاستنباط و الفكر بينة و بصيرة ، و ليس الخبر كالمعاينة و شتان ما بينهما .

و نسأل الله سبحانه أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا و نور عيوننا وجلاء حزننا و ذهاب همنا و غمنا ، و هو الموفق المستعان ، و عليه التكلان .

يوم الأحد ١/ شعبان ١٤١١هـ (الدائرة الحميدية)

الموافق - ١٧/ فبراير ١٩٩١م

أساليب القرآن



فهرس مطالب الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الجامع

حامــدا و مصليا

و بعد ، فان هذا مجموع من الاشارات التى اختزنها استاذنا الامام الفراهى رحمه‌الله ، لكتابه **الاساليب** ، قد افرده لذكر وجوه الاساليب فى القرآن ، و بيان دلالاتها و مواقع استعمالاتها ، و لكنه لم يتيسر له ان يولف هذا الكتاب الجليل ، و ينقل فيه هذه الاشارات الى مواضعها ، فبقيت هى ، كما كانت مبثوثة فى مخطوطاته و مبعثرة فيها . و لكنها اذ كانت مشتملة على مباحث مهمة و فوائد جليلة ، فاردت ان اجمع هذه الدرر و انظمها فى سلك ، لعلها تكون نافعة لمن اراد ان ينتفع بها ، فجمعتها فى هذا المجموع من غير زيادة و لا نقصان . فالرجاء من اللذين سيقرؤنه ان لا يعاملوه ككتاب مرتب ، بل ينظروا فيه بالامعان و التدبر ، لانه مجموع من الاشارات .

ان الاساليب لها مكانة عظيمة فى كل لسان ، لاثرها الخاص فى تادية الكلام و فهم معناه المراد ، و هى بالحقيقة ما سموه بعلم المعانى . ففى هذا العلم : يبحث عن دلالة التراكيب المختلفة الوجوه . التى تدل عليها الاساليب المتنوعة . و الغرض منه : ان يحيط العلم بما يدل عليه الكلام من المعانى ، حتى يحفظ عمالا دلالة له عليه . و انه بذلك : لاعظم شى من جهة العلم باللسان ، و اقرب وسيلة من جهة المعرفة ببلاغة الكلام .

ان الكلام لا يكون الا حاملا لعواطف المتكلم من الرضى و السخط ، و الفرح و الالم ، و الرحمة و الغضب ، و الرجاء و الحسرة ، و اللين و الشدة ، و غير ذلك من العواطف الروحية و لا يدل على هذه الامور الا تراكيب الكلام و تاليفاته باساليبها الخاصة ، فعلمها هو العلم الوحيد الذى يهدى الى روح الكلام و سرّه .

و لكن الالسنة مختلفة فى اساليبها ، و العقول متفاوتة فى الاقوام ، فلا بد ان لا يحكم فى كلام قوم بمجرد الراى و القياس على لغتهم ، بل يحكم بما تعوده اهل ذلك اللسان فى كلامهم . فان الحكم فى كلام قوم من دون رعاية اساليبهم و دلالاتها حيف عليهم و على كلامهم

ان علماء المعانى قد بذلوا جهدهم فى هذا الفن . و لا شك انهم بحثوا عن كثير من طرق تراكيب الكلام و تاليفاته . حتى انهم شأوا فيه الاقوام . و حازوا لهم قصب السبق . و لكنهم مع ذلك لم يودوا حقه . و ذلك بانهم لم يراعوا فيها سنن العرب فى كلامهم بل مالوا الى ما مهد لهم المولدون المعدون المتكلفون . فجعلوا مدار الفن على رعاية الصور النحوية و استعمالات الحروف الخاصة حسب المواقع ، كما صرح به امامهم الجرجانى رح و بنى عليه كتابه « **دلائل الاعجاز** » فقصروا النظر على صورة الكلام حسب القواعد النحوية . و زعموا ان اعجاز القرآن ليس الا من هذه الجهة . لو انهم استقصوا كلام العرب و اقتفوا آثار سننهم فيه . و جعلوه ميزانا لهم لمعرفته . ثم نظروا فى اسلوب القرآن و نظمه المعجز . لم يذهبوا الى ما ذهبوا . فانا نرى فى القرآن كثيرا من الاساليب يخالف صريحا قواعدهم النحوية .

و هكذا نرى كثيرا منها ما يخالف مناهجهم المعهودة فى الخطاب و الالتفات ، و الايجاز و الاطناب ، و الوصل و الفصل ، و الاعتراض و الحذف ، و التقديم و التاخير ، و الفصل بين المتصلين ، و الاستفهام و التخليص و التعميم و التخصيص ، و المقابلة و التفصيل ، و الابهام ثم الايضاح ، و تضمن القول دليله ، و ذكر الاثر لما يخفى و غير ذلك من الاساليب الكثيرة الوقوع فيه كما ستراه فى الصفحات التالية .

ان علم المعانى الذى هو ميزان لنا لمعرفة دلالات الكلام و محاسنها و جعلناه معيارا لاجل الكشف عن اعجاز القرآن . فلا شك انه ليس فى وسعه ان يقيم لنا الوزن بالقسط . فى فهم براعة القرآن و نظمه المعجز . فلذلك يجب على المشتغلين بآداب القرآن و اساليبه ان يتعمقوا فى دراستها و يبحثوا عنها حسب ما استعملها ليكشف القناع عن وجهها ، فان المجال فيه واسع . و الحاجة اليه شديدة .

ان هذا المجموع ، اول خطوة لاستاذنا الامام رح فى هذا الميدان ، و الحق انه رح ما حقق فيه من آداب القرآن و اساليبه فهو على اساس متين ماخوذ من سنن كلام العرب الخالص و القرآن الحكيم لا امت فيه و لا عوج . فان نظرنا فيه و سلكنا سبيله فى دراستنا ، فالمرجو منه ان يكون شعورنا بجمال القرآن و اساليبه ادق و الطف ، و يكون لنا التطلع الى اعجازه اسهل و اقرب . و الله هو المستعان و بيده التوفيق

بدر الدين الاصلاحى
مدير الدائرة الحميدية

غرة شوال المكرم سنة ١٣٨٩ هجرية

O

فى علم البلاغة و الخطابة يبين مواقع العواطف و فى علم المعانى يبين الأساليب الدالة على تلك العواطف .

(الفراهی[1])

بسم الله الرحمن الرحيم

اشارات من غير تفصيل

*****

من خطبة الكتاب

قال الله تعالى : (و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ١٤ : ٤) و اللسان ليس الألفاظ المحض . بل هو يشمل أساليب كلامهم . و فهم

---

[1] من افاداته رحمه الله :

خصائص لسان القرآن

(١) إنما نزل القرآن على لسان العرب ، فكان حريا بنا أن نذكر خصائص لسان العرب و لكن لم يصل إلينا من كلام العرب غير أشعارهم إلا نزر يسير . فالباحث عن خصائص لسان العرب يتخذ القرآن دليله . ثم للقرآن خصائص من جهة كونه وحياً و رسالة من الله تعالى . فن جهة المضمون يفارق القرآن سائر كلام العرب و يشبه الكتب السابقة المرسلة .

(٢) فاتخذت ثلاثة مآخذ لهذا البحث : القرآن ، و الكتب السابقة ، و أشعار العرب .

أما القرآن : فلان كل متكلم له منهج خاص . وتاويل قوله ببعضه إلى بعض أقرب إلى الصواب.

و أما الكتب السابقة : فجلها فى العبرانية و هى صنو لغة العرب ، فهى اشبه بها . ثم بين الكتب السابقة و القرآن مشاركة فى المضمون .

و أما أشعار العرب : فكونها نظما لا يبعدها عن النثر بعداً شاسعاً و إلا لم يفهمها الناس . ولذلك فى كل لغة يستند باشعارها على صحة كلام أو أسلوب إلا فيما يختص بالشعر من الرخص و هكذا لم يزالوا مستدين عليه فى التفسير و قالوا : الشعر ديوان العرب و فيه معنى القرآن .

(٣) هذه خصائص لسان القرآن :

=

اشاراتهم ، و أفردنا لكل هذه الأمور كتاباً على حدة ، لكى يسهل التامل و يجتمع الفكر لأمر واحد ، و المقصود من الكل فهم القرآن

=

ربما يخاطب النبي و المراد تفهيم الناس . و لهذا ثلاثة وجوه :

الأول : أن التعريض ربما يكون أبلغ فمنه قوله تعالى : (أم تسألهم خرجا ، فخراج ربك خير و هو خير الرازقين و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ٢٣ : ٧٢ و ٧٣)

و الثانى : . . . . .

و الثالث : . . . . . .

من افاداته رح :

خصائص لسان العرب و خطهم

(١) منها كثرة الحذف ، اعتماداً على فهم السامع . فانهم لذكائهم كانوا يعدون الاطناب عيباً . حتى إن لسان العرب قد بنى على الايجاز خلاف سائر اللغات . فانواع الكلم مصوغة من المواد . و ليست مركبة من السوابق و اللواحق مثلا كلمة فاعل ليس مثل «كارنده» (الفارسى) و ميكر Maker (الانكليزى) .

و ما فى العربى من الحروف الزوائد فى مثل يفعل ، و مفعل ، و فاعلة ، و فاعلون . فليس فى شئ من السوابق واللواحق ، إنما هو من أنحاء أوضاع الزوائد ؛ فانها توضع فى أمكنة مختلفة.

و كذلك هذب كلامهم عن فضول الروابط . فلا تجد فيه رابط النسبة الخبرية و لا الاضافية ؛ وكذلك عن روابط الخيال ؛ فترى فى كلامهم لتعودك بالعجمى انقطاعا ورتقاً ؛ ولكن العربى يراه متصلا و هذا من أقوى الدلائل على حدة فكر المتكلم و الكاتب و أرى ذلك فى كلام حكماء الهند و اشكل على علماء الأوربا فهمه لتعودهم بالاطناب . . . «بياض فى الأصل» .

(٢) قد علمنا أن اللسان حمولة الخيال و كذلك الخط حمولة اللسان و قد علمنا ما فى الخيال من السرعة ثم ما فى اللسان . فمهما كان اللسان ابطأ كان قيداً و ثقلا على الخيال ، و هكذا الخط إذا كان بطيأ كان قيداً على الكلام النفسى فيتبلد الخيال فلذلك كلما كان اللسان و الخط أوجز كان أحسن واعون و لذلك فى هذا الزمان احتاجوا إلى الخط السريع لضبط الخطب و العرب بسرعة فكرهم لم يرضوا بالخط البطئ الذى لم يترق منه قوم إلى الآن . والمتعود بالخط العربى يحقر سائر الخطوط و يحسبه خط الجهلاء و الحمقاء لا أثر عليه من الصنعة و العقل فالفكر الذى وضع لهم لساناً مهذباً عن الفضول أعطاهم خطاً على غاية من الصنعة وجودة التركيب .

=

حسب مراده ، و الله هو الموفق .

= و كما أن خطهم يساعد الكاتب فيلق خياله بسرعة التخيل و الكلام النفسى ، كذلك هذا الخط يساعد المتعلم . و ذلك لأن الألفاظ فيه صورة واحدة ترتسم بلحظة واحدة فى الخيال وتبق كصور الأشخاص . و أنت تعلم أن البصر لشدة تمرنه يقدر حفظ الصور أكثر من سائر الحواس . (فانك لا تزال ترى حتى فى النوم ولا تسمع ولا تشم ولا تطعم ولا تمس إلا بعض الأوقات .) فاذا رأيت ألفاظاً مثلا : شمس ؛ قمر ، نجم ؛ أسد ؛ نخل ، وجل ، فكانما رأيت صور أشخاص . و أما سائر الخطوط من خطوط النصارى و الهنود ، ففيها كل حرف صورة على حدتها ، و فى كل كلمة تحتاج إلى حفظ الصور المختلفة الطويلة العريضة ، و زاد على ذلك رسم الحركات . ثم فى الخط الاروبى الحركات ربما تربو على الحروف مثل : فائط فانه عندهم : ف - ى - ج - ص - ط أعنى Fight . فالخط الذى وضعته العرب اسهل لتعلم الالسنة ، و لذلك ترى الفرس و الترك و الافغان و أكثر الامم المسلمة مع حفظهم السنتهم تركت خطوطها - - - - - -

---

من افاداته رح :

عدم تغير اللسان العربى

إنا نرى اللسان يتغير بالزمان إذا لم يكن له وازع عن التغير . و لكنك ترى اللسان يسلم منه التغير إذا شاع التعليم ، و اتخذوا كتباً خاصة . فكل صبى ينشأ و يتربى على لسان واحد ؛ كما نرى الفارسية و العربية فى الهند لم يتغير ؛ فان القرآن صار كالمركز لكل ما تعلموا فى العربية ؛ و كتاب السعدى و الحافظ و أمثالها ، حفظوا اللسان فى الفارس و الهند .

والسبب القوى للتغير هو تبدل المملكة من قوم إلى قوم مختلف لسانه ؛ فهذا غير لسان الفارس و الهند ، و الآن نرى أثر لسان الانكليس فى الهند و هذان أمران ظاهران .

فاذا توجهنا إلى حال لسان العرب قبل الاسلام ، علمنا أنهم حفظوا لسانهم لاجل الرواية و جمعهم فى مواسمهم واسواقهم وتخالطهم لكثرة الترحال ، فكانت اشعارهم اسفارهم ومواسمهم مدارسهم ، فلا نرى فى قديم كلامهم و جديدهم تفاوتا ، فاذا جاء القرآن و دونت لغتهم استقر لسانهم و لكن العامة نبذوا العلم فتغير لسانهم و مع ذلك إذا رجعوا إلى التعليم رجع لسانهم إلى اصله كما ترى اليوم المصريين و الشاميين راجعين إلى العربى الصحيح - - - - - -

موضع الكتاب فى العلم

هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصاً بالقرآن ، و لكنه

من افاداته رحمه الله :

خصائص الأنبياء من البلاغة

ما من نبى و رسول إلا أعطاه الله الحجة والبينة ، ليهدى الناس بها و لا يترك لهم عذراً . ثم نرى فى ذكرهم ان الله تعالى أعطاهم خصائص . كملك سليمان ، ونفخ عيسى ، وثعبان موسى ، وتاويل يوسف . وهذا مثل ماخصهم من الفضائل الأخر. كما قال تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ٢٥٣:٢) وقد ذكرهم بصفات تخص بعض دون بعض، حتى إنه تعالى خص أمة بعضهم بصفة ، كما قال: (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة و رحمة ٢٧:٥٧) و ههنا لا نريد إلا ذكر البلاغة المختصة بهم ، لنفهم حالهم ولا نفضل فيهم. ثم نعلم ما جمع الله منها فى خاتم النبيين ﷺ .

فاعلم انك تجد فى ذكر ابراهيم عليه السلام انه كان لا يناقض كلام الخصم بل يسلم له ذلك . ولكن يستدرجه إلى الحق لشدة اللينة و الرحمة . ألا ترى كيف اتخذه الله خليلا و سماه اواها . يجادل الله فى عباده كما قال : (يجادلنا فى قوم لوط إن ابراهيم لحليم أواه منيب يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك ٧٤-٧٦:١١) ألا ترى كيف لين الله له جواباً . وهكذا ترى حسن قوله فيما خاطب أباه بيا ابت . يا ابت . ومثل ما ترى فى التوراة حين كان يشترى أرضا من بنى حط . وكان يركع لهم كامل فارس من دماثة الخلق . فترى فى القرآن كثيراً من حجج ابراهيم وهو فيها يستدرجهم إلى الحق من غير أن يردهم أولا . و ما علمت فى القرآن ذكر الحجة إلا مع ابراهيم ومحمد عليهما الصلوات . فاذا علمت هذا الأصل اتخذته ميزاناً=

متضمن لفن برأسه ، يجرى حكمه فى عموم أساليب كلام العرب ، غير ما

= لحسن محاجته ثم تجد نبينا عليه الصلوات يراعى جانب اللين ، فما ترى شدة القول فى القرآن إلا فيما يكلم الله بنبيه فى حق الكفار أو فيما يامره بقوله « قل » فانه فيه ناقل من أحكم الحاكمين . فان علمت هذا الأصل اتضح لك كل ما فى القرآن من أسلوب الاجتناب عن غلظة الخطاب .

ثم مما أعطى من أساليب البلاغة قريباً من الأول هو صرف الكلام وتاويله إلى غرض النبوة فترى ذلك فى يوسف عليه السلام . وقد ذكر الله تعالى: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الأحاديث ٦:١٢ (وأيضاً قال: (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الأحاديث ١٠١:١٢) فما علمت فى القرآن أن الله أعطى علم التاويل رسولا غير يوسف عليه السلام ، حتى ان موسى عليه السلام مع صاحبه لم يكن ليصبر للتاويل كما قال: (هذا فراق بينى و بينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبراً ٧٨:١٨) فترى يوسف عليه السلام كيف استعمل هذا العلم فيما دعا صاحبه فى السجن إلى التوحيد وبرّأ نفسه عند الملك (قال ارجع إلى ربك فسئله ما بال النسوة ٥٠:١٢) و جعل نفسه صاحب خزائن الأرض . وقال: (أيتها العير إنكم لسارقون ٧٠:١٢) فهذا تاويل الأحاديث باب عظيم و التخليص منه .

ثم انظر فى مواقع الكلام من القرآن تفهم تخليصاته . و وجدت فى سورة الكهف أمثلة لما ذكرهم الله فى جواب سوالهم كدعوة أصحاب السجن عند سوالهم يوسف عليه السلام . فسألوا نبينا أسئلة عجيبة لندرتها ، و لم يجبهم الا ساقهم إلى عمود السورة و هو وعد القيامة و حكمة خفائها . و وجوب الصبر لها فهم أرادوا أن يشغلوا النبى بأحاديثهم ، و هو يسوقهم إلى ما عنه يحيدون . و يتضح حسن تاويل قصة يوسف ع كما بينته فى تلك السورة بحول الله و توفيقه و القصة كلها تحسن من جهة تاويلها . فما كانت أحسن تاويلا كانت أحسن قصة مع كمال المعنى . . . . . .

اختص بالقرآن لكونه منزلا على رسول . و هذا الفن صنو اللغة ، و الفرق أن اللغـة علم مادى خاص ، و هذا علم صورى عام . وموقعه بعد النحو . فانه اتمام له . و هو بالحقيقة ما سموه بفن المعانى ، و لكن القوم فاتهم هذا التصميم و اختلط عليهم الأمر . فجعلوه جزءاً من فن البلاغة ، فكان دخيلا غير موفى له الحق . فلو وجدت فن المعانى على سداد أمره و استقصاء مسائله ، كفيت هذا التجشم .

والعلامة عبد القاهر الجرجانى رح مهد لفن المعانى كتابه دلائل الاعجاز . و زعم أن اعجاز القرآن ليس إلا من هذه الجهة و كان ذلك غلوا منه رحمه الله . و لكنه مصيب فى تفخيم أمره ، و لو تمم المتاخرون ما بقى منه و أوضحوا منه ما خفى ، لصار هذا الفن من أعظم شئ من جهة العلم باللسان و أقرب وسيلة إلى البلاغة . و فهم معانى القرآن ، و التطلع إلى اعجازه .

و مثل ذلك ما وقع للاصوليين . فانهم مستهم الحاجـة إلى تعيين دلالات بعض الكلمات و الأساليب . فاوردوا نبذا من مسائل هذا الفن فى علم أصول الفقه ، فلو كانَ فن المعـانى مستقلا برأسه لكفوا مؤنته ، كما أنهم مستهم الحاجـة إلى فن الاستدلال . فاوردوا نبذا من المنطق فى علم الأصول ، فصار عليهم مخلوطاً من أجزاء متباعدة . ربما يذهل عن التصميم للمسائل المختصة به . . . .

غاية الكتاب

كما أن المقصود من كتاب المفردات (١) ، احاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمه و وجوهه ، فكذلك المقصود من هذا الكتاب احاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور و الأساليب ، و مواقع استعمالها . فان محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعـه ، يفتح باباً عظيما لسوء التاويل . مثلا قالوا : إن كلمة « لا » ربما تاتى زائدة ، فاهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع ، فانه يجعل النفى اثباتاً . فلابد ان نعلم مواقع الأساليب ، فنستدل على معانيها ولانحولها عن مواضعها الخاصة .

و من هذه الجهة اشتدت الحاجة إلى اقامة الحجة على هذه الدلالات ، فان ذلك جزء من معانى الكلام ، و الجاهل به كالجاهل ببعض المعـانى لكلـمة مشتركة ، فلا يأولها إلا إلى ما علم من معانيه و ربما يكون المراد غيره .

(١) هو كتاب مطبوع للامام الفراهى رحمه الله فى مفردات القرآن (الجامع)

من افاداته رح :

إن « لا » فى قوله تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ من فضل الله ٢٩:٧٥) ليست بزائدة إنما السر فى « أن » إنها بيان لما لم يذكر و عوض عنه كانه قيل : لئلا يعلم اهل الكتاب ان فضل الله بايديهم كلا إنهم لا يقدرون على شئ من فضل الله .

و مثال هذه « ان » قوله تعالى : قل إن الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء و الله واسع عليم يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم ٧٣:٣) فهذا نظيره و تفسيره و قد جاء هذا المعنى فى مواضع .

من افاداته رح :

من الأدلة على دلالة الاساليب على معانيها . ورود قصة واحدة على اساليب مختلفـة فن ههنا يتبين معانيها مثلا وردت قصة زكريا و موسى عليهما السلام على اساليب مختلفة تهدى إلى امور .

- - - - - - - - -

و أما جواز أساليب القرآن ، فلا حاجة فيه للسند ، فان القرآن نفسه أوثق ما يستند به على أساليب كلام العرب ، فانه متواتر نقلا و لا يساويه شئ من كلامهم حتى القصائد المشهورة ، فانها قلمّا نجت من شوب الانتحال - - - - - - - - -

تقسيم هذا الكتاب

من الأسلوب ما شارك القرآن فيه كلام العرب ، فهذا لا نستقصيه و لكن نذكر ما يجب ذكره ، لما تركه الناس أو أخطأوا فيه ، و العلم به نافع فى فهم القرآن .

من افاداته رح :

فى القرآن بعض الكلام لا يمكن نسبته إلى الله . و قد قال المفسرون انه كلام جبريل ع . مثل قوله تعالى فى سورة مريم : (و ما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين ايدينا و ما خلفنا و ما بين ذلك و ما كان ربك نسياً رب السماوات و الأرض و ما بينهما فاعبده و اصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ١٩:٦٥) وقوله تعالى فى اواخر والصافات : (وما منا الا له مقام معلوم و انا لنحن الصافون و انا لنحن المسبحون ٣٧:١٦٤-١٦٦) و اذ وقع هذا الكلام من غير ذكر قائله . يفهم ان قبلذلك أيضاً منه . فاذ كان الامر هكذا وجب النظر فيما يحتمل أن يكون كلام جبريل . و لو جاز أن يكون كلام الله .

و فى القرآن بعض الكلام لا يمكن نسبته إلا إلى الله تعالى . مثل قوله تعالى : (ذرنى و من خلقت وحيداً٧٤:١١) وأيضاً مثل قوله تعالى:(ماذا اراد الله بهذا مثلا ٧٤:٣١) فاذا نظرنا فى الآيات الدالة على كيفية التنزيل . علمنا ان القرآن اسم لكل ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سواء كان : كلام الله اوحاه ربه إليه . او عبارة جبريل اوحى الله إليه معنى . اوكلام الله اوحى إلى جبريل ليوحيه إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

و الآيات الدالة على ذلك هذه .

(١) (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً ، او من وراء حجاب ؛ او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء٤٢:٥١) اى يوحى الملك باذن الله ما يشاء الملك وهذه هى الصورة الثانية و فيها الملك رسول الله و سفيره . فيكلم بكلامه من جانب ربه الذى ارسله ؛ و به يجرى على لسانه ما يقول فهو كالآلة و اللسان لربه . فمن جهة الاذن كلامه كلام الرب . و لكن ربما يكون فيه امر يتعلق بحال الملك - - - - - - -

و منه ما هو كالمختص بالقرآن من حيث أنه كلام جاء به النبى وأنزل عليه و إلى الناس ، و فهمه مبنى على صحة الفطرة ، فهو بين عند المتقين و مستور على الكافرين . و هذا مما لم نطلع عليه فى كتب القوم ، والحاجة إلى العلم به شديدة . و الأصل فى هذا الباب : — معرفة صفات الله — و معرفة صفات النبى — و نسبة النبى إلى ربه و أمته — و معرفة تدبيره فى الخطاب و دعوة الناس . و فى هذا الباب نستدل بالعقل الصريح . و نظم القرآن . و الصحف الأولى - - - - - - - - -

اختلاف الاساليب

(١) كما أن الكلمة لها معنى حقيقى وضعت له ، و معنى مجازى ربما يكثر ، فكذلك الأساليب منها حقيقى ، و منها مجازى تكثر الدلالات به فلابد لكلام جم الدلالة من استعمال الأساليب المختلفة . مثلا قوله تعالى : (من كان عدواً لله و ملائكته و رسله و جبريل و ميكال فان الله عدو للكافرين) دل على أن عداوة الملائكة من عداوة الله ، و على أن عداوة الملائكة كفر ، و على أن جبريل و ميكال من الملائكة و الرسل ،

من افاداته رح :

ما من شئ خلقه الله تعالى الأوله ظاهر و باطن . مكشوف و مكنون . جليل و دقيق . أنظر إلى الحجر و الشجر و الحيوان . و تركيبها و أجزائها و خواصها . لا يطلع أحد منها على حد الاوووراءه ما بقى مستورا . و لا يحيط بخلقه إلا خالقه .

فاعلم أن القرآن يطوى على كتاب و أحكام ، ثم على حكم ممتزجة بها و بذلك تعلم حقائق الأحكام و طرفها العالى . فيصير حافلا لما يتفرع و يتنوع من صور الأحكام الخاصة ، فيستنبط المجتهد . وكذلك تطمئن قلوب الحكماء بما كتب الله من الشرائع . وصرح القرآن بذلك حيث قال : (و يعلمهم الكتاب و الحكمة) فاكمل القوتين الاخلاقية و النظرية . الاولى هى التقوى . و الثانية هى التى سميت بالنور والبرهان و الطمأنية . قال تعالى : (ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)

و على أن جبريل و ميكال من كبار الملائكة و الرسل . و على أن الرسل من نوع الملائكة ، و على أن العداوة بالرسل من الآدميين ، من نوع العداوة بالرسل من نوع الملائكة ، و على أن اليهود كانوا أعداء لجبريل وميكال ، وعلى أنهم عدو لله . وكل ذلك مفهوم من نظم الكلام .

(٢) فى الخطابة لابد من أظهار عواطف النفس من الرحمة والغضب و الأسف و الشدة و اللين ، و لا يدل على هذه الأمور إلا تراكيب الكلام بأسلوبها ، فلابد من علم هذه الدلالات ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

من افاداته رح :

الدلالات

(١) قديستعمل اللفظ فى معنى . يفهم بدلالة التضمن والالتزام ؛ كما يستعمل الظرف للظروف و هذا من المجاز . جاء فى الحديث : « ما يضحك الرب من عبده » أى يرضيه كال الرضى ، فاستعمل الضحك للرضى لتضمنه و التزامه .

(دلالة الكل و الجزء بعضه على بعض ـــ تضمنية . و العلة و المعلول بعضها على بعض ـــ التزامية . و الصاحبين بعضه على بعض ـــ اقترانية . و الظرف و المظروف بعضه على بعض ـــ ظرفية . و فى كل ذلك قسمان و لها أقسام أخر)

(٢) و ربما تكون الدلالة إلى معنى لم يستعمل اللفظ فيه . بل ينتقل الذهن من معنى إلى معنى فليست هذه من دلالة اللفظ ، بل من دلالة المعنى على معنى آخر . كما رأيت الدخان و استدللت به على وجود النار ؛ أو رأيت سطوع الغبار و استدللت به على قرب الراكب . أو رأيت مخائل المطر ؛ فاستدللت به على أن المطر سينزل ، فهذا من المعلول على العلة ـ ـ ـ ـ ـ

من افاداته رح :

دلالة الكلام فيما بين المخاطبين بلسانهما ، لا يكون بتطابق الألفاظ و معانيها ؛ بل بتطابق الموقع و المعانى و أما الألفاظ ، فلا التفات إليها ، فنفهم ما هو المراد و إن قصرت الألفاظ وتحولت عن سنتها ، كما قال تعالى : (إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يوتكم خيراً مما أخذ منكم٨:٧٠) أى إن عملتم خيراً و شهدت أعمالكم على ما فى قلوبكم ؛ و مثله : (و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم)

أساليب القرآن

*** *** ***

(١) فمنها القِران والوصل

اعلم أن القِران أعم من العطف ، ونذكر العطف فى فصل مستقل ، فالقِران مجى كلمتين أو قولين متصلين ، سواء كان بالعطف أو بغير العطف ، و فيه دلائل على معان ، فنذكر منها ما ظهر لنا .

فمنها : اشتراك القرينين فى معنى كلى ـ كما قال تعالى : (الشمس و القمر بحسبان و النجم و الشجر يسجدان ٥٥:٥-٦) فبوضع الجملتين متصلة دل على كونهما مسخرة و معبدة . أى الشمس و القمر تجريان على قدر معلوم و فى ذلك دلالة على كونهما تحت حاكم سخرهما ، فهما فى عبوديته و يسجدان لعرش ملكوته ، و هما أبين آياته من عالم الجمادات ، ثم ذكر عالم النبات ، و بما ذكر سجود هذا العالم نبه على أن كلا العالمين كالحيوان الساجد لله تعالى . كما صرح به القرآن : (ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات و من فى الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب٢٢:١٨)

ومنها : كون أحد القرينين للآخر توضيحاً و تاكيداً . كقوله تعالى : (عزيز مقتدر) أو (العزيز الجبار) أو (عزيز ذو انتقام) .

و منها : كشف أمرين متقابلين . كقوله تعالى : (العزيز الغفار) و (العزيز الرحيم) و (العزيز الحكيم) و (العزيز العليم) .

و فى قران الصفات المختلفة بصفة خاصة كالغفار و الرحيم و الحكيم و العليم بالعزيز ، يتبين لنا أن هذه المختلفة تحت أمر كلى . فان الحكمة و العلم و الرحمة تحت أمر كلى . و ههنا غور عميق يدلك على وحدانية الصفات ، فان الحكمة من العلم ، و العلم من القدرة ، و الحكمة من الرحمة و العزة من القدرة . و كما أن الصفات المختلفة حسب الظاهر داخلة تحت معنى عام ، فكذلك الصفات كلها تدخل تحت معنى الذات . و فى أواخر سورة البقرة أمثلة كثيرة لهذه الدلائل .

و المراد بالوحدانية ليس نفيها و لا عدم تمايز بعضها من بعض ، بل إنها تدخل و تجمع فى مفهوم كلى عام ، فانها تنتهى إلى كمال الوجود كما هو مبسوط فى موضعه - - - - - - - -

(٢) و منها الخطاب و الالتفات
(تنوع الخطاب)

إن معرفة هـذا من المهمات . و قد اختلف العلماء كثيراً فى تعيين المخاطب و المخاطب ، فلابد من أصول يرجع إليها . و قبل ذكر الأصول نقدم أمثلة تبين ما نحن بصدده .

إذا جاء الخطاب إلى واحد و ليست هناك قرينة ظاهرة ، تبادر إلى عامة المفسرين ان المراد به النبى عليه السلام و هذا يوردهم عـلى خطأ عظيم . و حقيقة الأمر أن الخطاب :

١ - ربما يوجه إلى النبى من حيث كونه أمامهم ولسانهم وإنما المراد به الناس ، أما عامتهم أو طائفة منهم ، فالخطاب فى الحقيقة إلى الناس .

٢ - و ربما يوجه إلى الناس مستقلا .

فاما الأول فيظهر بالأمثلة : فمنها قوله تعالى فى سورة الانعام : (و كذب به قومك و هو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون٦:٦٦-٦٧) فهنا المخاطب الواحد هو النبى ، ثم بعد ذلك جاء بالمخاطب الواحد و المراد منه الأمة فقال : (و إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره و إما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين٦:٦٨) أى إنما عليكم أن تذكروهم بآيات الله . فاذا خاضوا فاعرضوا عنهم ، فالزمهم أمرين : التذكير و الأعراض . و بين ذلك بقوله : (و ما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون٦:٦٩) أى ليس على المومنين من حساب الظالمين غير الذكرى ، فلا يحاسبهم الله تعالى بكفر قومهم بعد الذكرى ، فان تركوهم

من افاداته رح :

الخطاب

المخاطب يذكر بما يليق من الأسماء بما فى الخطاب مثلا : إذا كان الخطاب بأمور الفطرة كالتوحيد و الاحسان إلى ذوى القربى و اليتامى يخاطبون بيا « أيها الناس » و إذا كان من الأوامر المكتوبة يخاطبون بيا « أيها الذين آمنوا » وذلك ليدل على أن الخطاب الأول واجب عليهم بمحض أنهم انسان ؛ و الثانى لأنهم عاهدوا الرب بالطاعة ؛ و هكذا يراعى الأسماء المناسبة بالخطاب . و ما ذكرنا فهو مثال ، فان المناسبة تكون من وجوه - - - - - -

---

من افاداته رح :

للخطاب مواقع : منها ايراد أصل القول ، كما قال تعالى : (و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و امنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى٢:١٢٥) ومنها : الرجوع من الغائب الى المتكلم ، فذلك للتاكيد و جعل الكلام أشد تاثيراً كما قال تعالى : (.... الذى جعل لكم الارض مهداً و سلك لكم فيها سبلا و انزل من السماء ماءاً ، فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى٢٠:٥٣) و منها : لرفع الملال ، بتبديل الاسلوب - - - - - - - -

بعد ذلك فهم بريون من سوء أعمالهم . و القرآن دل على هذا المراد ، فقال فى سورة النساء آية ١٤٠ : (و قد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم ٤ : ١٤٠) فهذه الآية تشير إلى ما ذكرنا من سورة الأنعام ، فان كتاب الله لم ينزل فيه شئ فى هذا الأمر ، غير ما جاء فى سورة الانعام. حتى أن المفسرين زعموا أن تلك الآية قدنسخت بهذه الآية. كما ذكر ابن جرير رحمه الله و لكن لا نسخ ، فان هذه الآية إنما تمنعهم عن القعود معهم إذا سمعوا استهزاءهم حتى يخوضوا فى حديث غيره و بمثل ذلك أمرهم فى سورة الأنعام .

و منها قوله تعالى : (فاستقم كما أمرت و من تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار و ما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون واقم الصلواة طرفى النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين ١١ : ١١٢-١١٣-١١٤) فقوله :

من افاداته رح :

مثال خطاب الأمة بالنبي قال الله تعالى : (يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين إن الله كان عليما حكيما . و اتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً (فنبه بجمع الصيغة على أن الخطاب إلى الامة) و توكل على الله و كفى بالله وكيلا . (فهذا تمهيد لما يتلوه) ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (وهذا تمهيد آخر أى ليس لكم إلا ارادة واحدة) وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وماجعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بافواهكم ٣٣ : ١-٤) مصرح بأن الخطاب إلى الامة عامة .

من افاداته رح :

مثال لاختلاف المرجع . قال تعالى : (و من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم (اى الشياطين يصدون الغافلين) عن السبيل و يحسبون (اى الغافلون) انهم مهتدون .

، ولا تطغوا ، خوطب به الناس والأمة فى حقيقة الأمر بواسطة النبى ﷺ .

و أما الثانى و هو أن الخطاب يكون إلى الواحد و هو متوجه إلى الناس من غير واسطة النبى ، و ربما يجئ ذلك بعد الخطاب بالنبى أو قبل خطابه على طريق الالتفات ، فحينئذ يشتد الالتباس على الذين لا يتأملون ولا يطلبون ما كان أحسن تاويلا ، ويفرون عن انتشار الضمائر و لكن ذلك هو الالتفات ، فلا بأس باختلاف المرجع (راجع باب الالتفات) .

و من أمثلة ذلك قوله تعالى : (و قضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين احساناً اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلاتقل لهما اف و لا تنهرهما و قل لهما قولا كريما . و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً ١٧ : ٢٣-٢٤) و فى هذا السياق

من افاداته رح :

قوله تعالى : (استغفر الله) إذا خاطب به النبي يراد به الاستغفار للناس كما قال تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله و لا تكن للخائنين خصيما . و استغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما . و لا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيما يستخفون من الناس و لا يستخفون من الله و هو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول و كان الله بما يعملون محيطاً . ها انتم هولاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما) اى لاتحكم الا بالحق و العدل واستغفر للظالمين انفسهم، فان الله يتوب على من تاب ويعلم خائنة الصدور فلاينبغى لاحد ان يشفع لهم . و هذا هو الجدال بالله كما جاء فى قصة ابراهيم . فنهى المسلمين عن الاستغفار للخائنين بل أمر أمراً عاما للتوبة ، فمن تاب يجد الله غفوراً رحيما . و ليس لمسلم أن يغوب لمن لايتوب، فان هذا محال . ويوم القيامة يوم الفصل والعدل فلا يجديهم جدالكم فى الدنيا ودرء العذاب عنهم.

ثم اعلم ان الخطاب هنا إلى النبي و لكن المراد به حكم عام للقاضين . و لذلك جاء بصيغة الجمع كانه هو الأمة . و فى الخطاب بالنبي ابلاغ و تاكيد . و هكذا التاويل فى سورة النصر فى تعلق الاستغفار . و له شواهد أخرى و تفصيل المسئلة فى كتاب النبوة و الرسالة .

آيات فيها جمع بين خطابين ، فمرة بصيغة الواحد و أخرى بصيغة الجمع و المراد منهما العموم . و هذا مما لا يخفى على من له أدنى المعرفة ، فان النبي ﷺ لم يكن والداه حيين حتى يخاطب بالاحسان . و لكن من الآيات ما ليس فيها دليل قاطع على مراد العموم غير الفهم الذى يأتى من الاطلاع على أساليب الكلام و معرفة حسن التاويل .

و منها قوله تعالى : (فما لكم فى المنافقين فئتين و الله اركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من أضل الله و من يضلل الله فلن تجد له سبيلا٤:٨٨) فقوله تعالى : « فلن تجد له » خطاب عام .

و كذلك قوله تعالى : (يايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا و اسمعوا وللكافرين عذاب أليم . ما يود الذين كفروا من أهل

من افاداته رح :

حل بعض الاشكال فى كلام النبى

النبي وكيل من الله إلى العباد . و من العباد إلى الله . و يمنح الله تعالى له خلقاً يناسب هذا المنصب . فالنبي كما أنه يكلم بكلام الله إلى العباد وعظاً و تنبيهاً ؛ فهو كذلك يجادل الله تعالى من جهة العباد . فاذا كلم من جهة الله فلا يخاف من يلومه و لا من يخاصمه ، فلسانه كسيف صارم و الله تعالى حافظه و عاصمه . و إذا كلم من جهة العباد فيتضرع و يجادل الرب و لا يخاف عظم سيآتهم و لا يبالى أن يرد الله دعاءه . و ربما يأتى بكلام يشبه العتاب . و كثيراً ما يكلم بكلامهم كانه هو لسانهم . كما أنه يكلمهم بلسان ربه ؛ و كذلك يخاطبه ربه كانه هو الأمة فيعاتبه و يزجره و يحكم عليه بصيغة الواحد و الخطاب ليس الا إلى الأمة .

فهذه نكتة غامضة ، تحل الاشكال و تهدى إلى الوجه الصحيح فى تاويل آيات كثيرة فى القرآن و الانجيل .

و أهل الانجيل يقومون و يقعدون فى توجيه بعض كلام المسيح عليه السلام . حتى أنهم تفوهوا باسوء شئ فى حقه و قريب من ذلك ما أشكل على علمائنا ؛ و لكنهم رحمهم الله لم يزالوا يذبون عن حرمة نبيهم بل كل نبي و لله الحمد . مثلا : فى قول المسيح : « الهى ، الهى لم خذلتنى » فالمخذول هو قوم اليهود و المسيح عليه السلام لسانهم فى هذا الخطاب - - - - - - - -

الكتاب و لا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم و الله يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم . ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير . ألم تعلم أن الله له ملك السماوات و الأرض و ما لكم من دون الله من ولى و لا نصير . أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، و من يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل٢:١٠٤-١٠٨) فقوله تعالى : « ألم تعلم » خطاب عام .

و كذلك قوله تعالى : (فترى القوم فيها صرعى ٦٩:٧) خطاب عام . أى لو كنت هناك أيها المخاطب لرأيت .

و كذلك قوله تعالى : (فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين٩٥:٧-٨) و قد أخطأ فى هذا الخطاب بعض أهل التاويل - - - -

و من تنوع الخطاب

الالتفات

كان القرآن قام خطيباً سماوياً . يخاطب أهل الأرض كافة . فيلتفت يميناً و شمالا و يخاطب هذا و ذاك . و هذا كثير فى القرآن . قال تعالى : (و ما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم (ثم التفت إلى الناس و قال :) فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر (ثم التفت إلى النبى و قال :) و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون ١٦:٤٣-٤٤)

و من هذا قوله تعالى فى سورة يونس : (فان كنت فى شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ١٠:٩٤) فان الكتاب

أنزل إلى الأمة كما أنزل إلى النبي ﷺ ، كما جاء في سورة الاعراف : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ٣:٧)

وليس أن الله تعالى يخاطب النبي خاصاً ويخاطب الناس على لسانه . فان وجه الكلام لايحتمل هذا في كثير من الآيات . مثلا في سورة العقود قال تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم الاية ٥:١٥) فليس لك أن تقول ههنا حذف كانه قيل : قل يا أيها النبي لهم : يا أهل الكتاب - - فان الخطاب إليهم أبلغ . و إذا كان المقصود أن يقول لهم النبي ، صرح بذلك و ذكر كلمة « قل » أو كلمة « اتل » . فلا حاجة إلى الحذف و الصرف عن الظاهر .

وجملة الكلام أن القرآن يخاطب النبي عليه السلام والناس بلا واسطة و هذا كثير . أنظر في سورة المزمل خاطب الله تعالى أولا نبيه ثم قال: (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ٧٣:١٥)

من افاداته رح :

الخطاب و الالتفات

قال الله تعالى : (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ٣٢:١-٣)

فقوله تعالى : (بل هو الحق من ربك) ليس لتعليم النبي ، فانه قد آمن به و أيقن به : و إنما خاطبه به ليرد بذلك قول المكذبين . و لم يخاطبهم تسكيناً لنبيه و أعراضاً عن مكذبيه .

من افاداته رح :

الالتفات كثير في كلام العرب و لكنه يجرى على قواعد من البلاغة و من قواعده :

١ — أن يوتى بالخطاب بعد الغيبة : تمهيداً و تقريباً كما ترى كثيراً في المدائح و المراثي ، ومنه الالتفات في سورة الفاتحة . و في قوله تعالى : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى و ما يدريك لعله يزكى - - - - - - - -

٢ — - - - - - - - -

وهذا خطاب عام للناس . و كذلك أنظر كيف جاء في القرآن من تصريح الخطاب بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا) و (يا أيها الناس) و من مثل التصريح ما جاء من صيغة الجمع مثل قوله تعالى : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ٧:٣)

فهذا مما يتعلق بالذي يخاطب إليه . و أما الذي يصدر منه الخطاب . فمعرفته أيضاً مهمة جداً . فان القرآن مع كونه باجمعه وحياً من الله . ليس كله على لسانه تعالى . فان من القرآن ما هو دعاء علمه الله تعالى عباده كسورة الفاتحة . و منه حكايات لاقوال المخلوق من مومن و كافر و ملك و انسان . فان جاء التصريح فلا خفاء . و لكن ربما لم يجئ التصريح فيفهم من موقع الكلام و حسن التاويل . و من ذلك ما يقتضي تأملا . فيلتبس على من يغفل ، فينسب إلى الله تعالى ما لا يليق بجلاله - - - - - -

---

من افاداته رح :

القرآن من سعة بركته يكون مشتبكا في الخطاب ، فالقارى يجد أنه يخاطب ربه ويسمعه ويسمع المكرين و يتكلم مع النبي . و كذلك النبي عليه السلام كان بالقرآن يخاطب و يخاطب . و هذا لكثرة الالتفات . فلا نكاد نفرق بين خطاباته . و أما قوله تعالى : (و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ٥٤: ١٧) فهو أرفق بالذكر ليسهل عليهم الذكر .

من افاداته رح :

و من الالتفات نوع يوهم الحذف و لكنه من الالتفات كقوله تعالى : (و كل انسان الزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ١٧ :١٣-١٤) فكلمة « اقرأ » من الالتفات و لم يحذف قبله : « قيل له » و أيضاً قوله تعالى : (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون . يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا أم انتم لا تبصرون ٥٢:١١-١٥) و كذلك قوله تعالى : (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا و اشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ٥٢:١٨-١٩)

فوائد الالتفات

(١) اعلم أن الالتفات فى القرآن كثير جداً وهكذا فى كلام العرب، و من فائدته العامة انتباه السامع . فان الانسان من غفلته و تبلده يرى أموراً كثيرة و لا يلتفت إلى ما هو متصل به، و إنما يلتفت إلى ما يلتفت إليه لغرضه و حاجته و ذلك يرسخ فيه و يصير عادته . فاكثار الالتفات يزيل جموده و يعده للنظر و الفكر، فان الفكر و النظر ليس إلا نوعا من الالتفات . ثم بعد ذلك له دلالات على أمور سنذكر بعضها :

فمنها : احضار البعيد . ليجعله أوقع فى القلب إذا خاطب بعد صيغة الغائب مثلا قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا ١٩:٧١-٧٢) فان هذا ذكر الانسان و هم المنكرون كما قال قبل ذلك: (ويقول الانسان . إذا مامت لسوف أخرج حياً أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً. فوربك لنحشرنهم (أى هولاء المنكرين) و الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا . ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا . ثم لنحن اعلم بالذين هم أولى بها صليا . و إن منكم إلا واردها الآية ١٩ ٦٦-٧١) و بعد هذه الايات قال تعالى : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا . و نسوق المجرمين إلى جهنم وردا ١٩:٨٥-٨٦) فاختلفوا فى تاويل الوارد ، فقال فريق هذا عام و قال فريق هو خاص بالمجرمين ، و ليس هذا موضع البحث عنه .

و منها : شدة الخطاب . و لا يدل ذلك على أن المخاطب يسمع ذلك . و لا يخاطب إلا لاظهار الشدة كما فى قوله تعالى : (الآن و قد

عصيت قبل وكنت من المفسدين ١٠:٩١) و كما خاطب النبى أصحاب القليب فى بدر . فجعل الغائب حاضراً و ما ذلك إلا لفائدة شدة الخطاب .

و منها : صرف التوجه عن السامع تصغيراً له و اعراضاً عنه .

و منها : صرف الخطاب الشديد إلى أكبرهم . ليصير أشد تاكيداً و من ذلك كلما خاطب به النبى ﷺ فيما يتوقع منه و ربما أدخله فى السامعين لهذا الغرض .

و منها : التعريض بمن يتوقع منه الانكار أو الكراهية . و من ذلك ما جاء فى أول سورة البقرة . فلم يخاطب اليهود فى ذكر نفاقهم . و لا الكفار المصرين فى أصرارهم على الباطل بعد وضوح الحق - - -

(٢) و من الالتفات . التفات من مخاطب إلى مخاطب ولذلك فوائد: فربما يبتدئ الكلام بالغائب فى المدح . تمهيداً لرفعة منزلة المخاطب . ثم يخاطب كما ترى كثيراً فى مدائح العرب . أنظر قصيدة كعب بن زهير فى مدح النبى (١) و هكذا ترى فى سورة الفاتحة . فاذا اشتمل الكلام على الدعاء يوتى بالدعاء بعد المدح غائباً ثم حاضراً . المدح بالغيبة أقرب تعظيما . و اخلاصاً . و استحياءاً من المتكلم و السامع . و وصلا بالتمهيد الذى ليس بمدح كما ترى فى قصيدة كعب المذكورة و فى قصيدة الأعشى .

(١) قصيدة كعب بن زهير جامعة لأساليب مختلفة : فتأمل فيها .

ففيها : مثال واضح لاشتباك الجمل و طولها . و نفى التالى لنفى المقدم . و ذكر الصفة نيابة عن الموصوف : و التخلص العجيب . و المفاجاة بالمطلوب (عند مظنة الانكار) بعد الاستمالة ، و القول الجزل البعيد الذى يأخذ بمجامع التوجه : فينسى عن كل خيال يكون عائقاً حتى يترك القلب فارغا . و القول السهل فى أصل الغرض حتى يبلغ المعنى . و رفع الموانع و سد أبواب الضرر ، فانه مدح الصحابة .

و كان فى القصيدة نقص أنه لم يمدح الأنصار ، و هو قد مدح المهاجرين . فنبه النبى صلى الله عليه وسلم ، على ذلك . (منه رحمه الله تعالى)

فالرجوع من الغائب إلى الخطاب كما ترى فى سورة الفاتحة هى من جهة تنوع المعنى ، فان صفات الكمال ثابتة بنفسها و الخطاب بالحمد يشمئز عنه المحمود. فالدعاء و الانابة أولى بالخطاب . ألا ترى أن إمرء القيس فى قوله بعد صفة من كان يهواها . خاطبها :

الارب خصم فيك الوى رددته   نصيح على تعذاله غير مؤتل

لكى يستميلها بهذا القول .

و الزجر و التوبيخ أنسب و أسهل بالغيبـــة ، و الخطاب فيه أشد دلالة على شدة الغضب . و لما كان الزجر مما يتنفر عنه السامع يوتى به على وجوه :

فربما يخاطب به غيره .

و ربما يشار إليه بذكر قصة من شابه الموبخ .

و ربما يخاطب به الجماعة

ومثال الأول قوله تعالى : (أما من استغنى فانت له تصدى ٨٠:٥-٦) و قوله تعالى : (ذرنى و من خلقت وحيداً ٧٤:١١) إلى آخر السورة ، يخاطب النبى و مورد التوبيخ الكفار . وهذا كثير فى القرآن أنظر سورة القيامة . أيضاً ترى فى قصة فرعون أن كلامه كان مع موسى عليه السلام و لكنه التفت إلى رجاله و (قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ٢٦:٢٧) ثم لما اشتد غضبه خاطب موسى و قال (لئن اتخذت الهاً غيرى لاجعلنك من المسجونين ٢٦:٢٩) .

و مثال الثانى كثير فى القرآن على وجوه كثيرة و مثال الثالث قوله تعالى : (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ٨٢:٦) .

و بعد هذا التمهيد ، ربما يصرف الخطاب إلى من هو مورد التوبيخ كما ترى فى سورة البقرة خاطب بنى اسرائيل بعد ذكر أحوالهم ، وضرب الأمثال لهم و الخطاب العام و فى كل ذلك أشـــارة إلى من سيجعل مخاطباً و هذا كثير فى القرآن ، أنظر سورة الفجر - - - - - - -

(٣) و منها الحذف

(١) ذلك اسقاط الفضول عن القول . و الفضول ما يفهم الكلام بدونه و يتاثر منه السامع . فان الغرض من الحديث ليس إلا الافهام و التاثير ، فكلما زاد على هذين أذهل ، و أبعد ، و اثقل . و إذ أن المستمع على مراتب متفاوتة من الذكاء و التاثر ، اختلفت الألسنة فى قدر الحذف فيها . أما العرب فلذكائهم و توقد اذهانهم كان انجح الأقوال عندهم ما قل و كفى . فان كان الكلام لم يهذب عما لا يغنى شيئاً ، سقط عندهم و مجه سمعهم . لظنهم بالمسهب أنه إما أحمق أو يحمق المستمع . فكان أمر الحذف فى كلامهم من بعض سجاياهم و كانهم طبعوا عليه فلذلك تراهم :

(الف) خلاف السنة الأمم . لم يشكلوا كلامهم إلا لأجل العجم و كذلك العبرانيون أخوانهم .

(ب) و اسقطوا فى التركيب من هيأة الحروف أكثرها . فسبقوا كل أمة بخطهم البديع التركيب . و بسطت القول على هذا الأمر المهم فى باب على حدة .

(ج) و جردوا الكلام عن الروابط كالاضافة ، والخبر ، والتمييز . و الظرفية وغيرها و هذه درجة عالية من ارتقاء اللسان . و البحث المشبع

عليه فى باب على حدة .

(د) واخلصوا الكلام عما دلت عليه القرينة من الفعل ، والجواب للشرط ، و القسم و استقصاء ذلك فى النحو .

(ﻫ) و اسقطوا من القصــة و الحجة أجزاء و قضايا . لا يكاد يحذفها غيرهم . فلذلك صعب على العجم درك حديثهم ، كما لايدرك حسير القوم شاو حثيثهم . و البحث عنه فى باب الايجاز و فيه فوائد جمة .

(٢) و إذا كان الحذف شائعاً ، لابد لنا من أن نعلم أساليبهم فى

✓ من افاداته رح :

كان من امثل السائر عند العرب : « الحر يكفيه الاشارة » فان لهم ذكاء وغيرة و كانوا يحبون الاشارة و الكلام و يستغنون بالقليل عن الكثير فالقرآن خاطبهم بأفصح لسانهم و أحسن بيانهم و ابلغ أساليبهم . و من هذا الاسلوب استعمال ما بظاهره يدل على أمر باطن . كنسبة السجدة إلى الظلال . فانها بمخالفتها عن جهة الشمس . تشيرك إلى أن المسجود غيرها . و هو الذى بيده ناصية الشمس و القمر و النجوم و كل شئ فى الأرض و السماء . ثم هذا حق من جهة الحقيقــة أيضاً . فان كل شئ تحت قدرته و يجرى حسب مشيئته : فليس سجود الظلال كسجودنا . و لكل شئ سجدة باطنة و إنما ينبه عليها ما له صورة تذكرك السجدة و التسبيح و الصلواة . فذلك قوله تعالى : (تسبح له السموات السبع و الأرض و من فيهن و ان من شئ الا يسبح بحمده ١٧:٤٤).

وقوله تعالى : (كل قد علم صلوته وتسبيحه ٢٤:٤١) معناه : ان كلا قد علم من الاعمال ما يدل على صلوته وتسبيحه سواء أراد الصلوة أم لم يرد . فالكافر المشرك يسجد للوثن ولكنه لايعلم أنه يسجد لله . و لذلك قال : (و لله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا و كرها و ظلالهم بالغدو و الآصال ١٣:١٥) (طوعا و كرها) و لذلك قال و الله اعلم : كل قد علم صلوته و تسبيحه و الله عليم بما يفعلون ٢٤:٤١) و هذا كمن اطاع عبد ملك ظانا بانه هو الملك و تذلل له فهو بتذلله لعبده صار اذل له و لكنه لا يعلم . و نسبة الفعل إلى الجاهل به كثير كقوله تعالى : (و ما يخدعون إلا أنفسهم و ما يشعرون ٢:٩ و كقوله تعالى : (و لكن أنفسهم يظلمون) أى لحاظاً إلى نتيجة فعلهم . فكذلك الكافر يسجد لله و هو لا يشعر به هذا . ثم انفعال الجمادات فعلها و هذا الباطن شعورها لأوامر الله . قال تعالى للسماء و الارض : (ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ٤١:١١) فى بواطنهم يسجدون له و يتذللون له و تاثر الأشياء تعبده : و لا إرادة لهم غير انفعالاتهم . و أما الانسان فهو كافر فى بعض أطواره و لذلك قال تعالى : (و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب ٢٢:١٨)

الحذف . لكى لا نخطئ فى تقدير المحذوف . فان الذى نقدره ربما يغير معنى الكلام . فاشتدت حاجتنــا إلى طرقهم و هكذا الأمر فى الزيادة .

(أنظر باب الزيادة)

(٣) و كذلك ينبغى لنا أن نعلم الفوائد التى يدل الحذف عليها ، فان لكل أسلوب فائدة و دلالة من وجوه شتى - - - - - - - - -

مواقع الحذف

للحذف مواقع شتى :

فمنها : حذف الماضى المركب بالمضارع ، مثل يفعل فى موضع كان يفعل وهذا كثير فى كلام العرب . قال تعالى : (فلا تك فى مرية مما يعبد هولآء ما يعبدون إلا كما يعبد (أى كما كان يعبد) آباوهم من قبل ١١:١٠٩) و قال تعالى فى سورة الزخرف : (و كم أرسلنا من نبى فى الأولين و ما ياتيهم (أى ما كان ياتيهم) من نبى إلا كانوا به يستهزؤن ٤٣:٦-٧) و مثله قوله تعالى فى سورة هود : (و اصنع الفلك باعيننا و وحينا و لا تخاطبنى فى الذين ظلموا أنهم مغرقون . و يصنع الفلك و كلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه ١١:٣٧-٣٨) (أى جعل يصنع الفلك) و مثله قوله تعالى فى سورة الانعــام : (و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات و الأرض ٦:٧٥) (أى كنا نرى ابراهيم عليه السلام) .

و منها : حذف الفعل بعد فعل مشابه . اعتماداً على فهم المخاطب كما قال الشاعر :

وزججن الحواجب والعيونا أى و كحلن العيون

و قال تعالى : (و الذين تبوءو الدار و الايمان من قبلهم٥٩:٩) أى اتخذوا الايمان . و أيضاً قال تعـــالى : (و ألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم و أنهاراً و سبلا١٦:١٥) أى أجرى فيها . و أيضاً قال تعالى : (و أعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ وبالوالدين احساناً ٣٦:٤) أى واحسنوا وأيضاً قال تعالى : (ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا وأنفسكم ٣:٦١) أى ندع أبناءنا و أنتم أبناءكم و نحن نساءنا و أنتم نساءكم و نحضر أنفسنا و أنتم أنفسكم . ثم نبتهل نحن و أنتم . و غير ذلك .

و منها : حذف الجزاء . أنظر سورة الزمر و هذا كثير ، و عند ذكر الدليل أكثر كما قال تعالى : (و ما تفعـــلوا من خير فان الله كان به عليما ٤:١٢٧)

و منها : حذف الشرط و الجزاء معاً . إذا كان الشرط مفهوما كما قال تعالى : (ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً٤:١٣٩) أى ان يبتغوا العزة عندهم لن يجدوها . فان العزة كلها بيد الله .

و منها : حذف ما ذكر مرة فى جملة مشابهة . على أصل عام فى العطف . فنقول جاء زيد و عمرو . و قال تعالى : (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله و الله مع الصابرين ٨:٦٦) أى ألف صابر يغلبوا ألفين . و آخر الآية يدل على هذا التاويل و يؤيده .

و منها : حذف القول و القائل قبل كلامه . مثلا قوله تعالى : (يوم تبيض وجوه و تسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم (قيل لهم) ا كفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون٣:١٠٦) و له أمثلة كثيرة

و أكثر هذه الأمثلة من الالتفات . (راجع باب الالتفات)

و منها : حذف ما ينكر به قبل كلمة « بل » لأنها تدل على ما أنكر به مثلا قوله تعالى : (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا (أى لم يقل الله بل أنتم تحسدوننا) بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ٤٨:١٥)

و منها : حذف جملة . كقوله تعالى : (و حرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون٢١:٩٥) أى حرام أن يرجعوا .

و منها : حذف جانبين من المتقابلين لما دل عليه مقابله ، كما قال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف١٦:١١٢) اى أذاقها الله طعم الجوع و ألبسها لباس الخوف . و أيضاً قال تعالى : (جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً١٠:٦٧) أى جعل الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتبتغوا فيه . و أيضاً قال تعالى : (جعلنا الليل لباساً و جعلنا النهار معاشاً٧٨:١٠-١١) أى جعلنا الليل لباساً و سكوناً و جعلنا النهار ضياء و معاشا . و من هذا قول الحارث بن حلزة :

و العيش خير فى ظلا ـ ـ ـ ـ ل النوك ممن عاش كدا

أى العيش (فى الرفاهية) مع الحمق خير من العيش فى الكد (مع العقل) لحذف الرفاهية من الجزء الأول و العقل من الجزء الثانى و أشار بذكر الظلال إلى الرفاهية .

و قال عمرو بن معدى كرب :

ليس الجمـــال بمئزر   فاعلم وان رديت بردا

أى ليس الجمال ببرد و مئزر ، فاعلم و ان رديت و اتزرت .

و منها : حذف ما يتعلق به الجار ، فيقدر ما يدل عليه الجار كقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

هم جبل الاسلام و الناس حوله   رضام إلى طود بروق و يقهر

، الى طود ، أى مسندة إلى طود . و من هذا الباب ، قام إليه ، أى قام و مشى إليه .

و منها : حذف لا قبل جواب القسم . قال حسان بن ثابت رض :

و الله اسمع ما حييت بهالك   إلا بكيت على النبى محمد ﷺ

أى لا أسمع ما حييت . و قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً   ولوقطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا أبرح قاعداً .

و منها حذف جواب القســم ، كما حذف فى (و الفجر و ليال عشر٨٩:١-٢) و النحاة تكلفوا فى تكميل الكلام حسب قواعد النحو . فذهبوا كل مذهب . كما قال الكسائى و الفراء رحمهما الله فى جواب (و القرآن ذى الذكر٣٨:١) أنه ان ذلك لحق تخاصم أهل النار .

و منها : أهمها حذف المعانى التى ينتبه لها المتكلم - - - - - - -

(٤) و منها العود على البدء

إن لهذا الأسلوب أمثلة كثيرة فى القرآن . فنذكر طرفاً منها .

١ — قال الله تعالى فى سورة البقرة : (يا بنى اسرائيل أذكروا نعمتى التى انعمت عليكم و أوفوا بعهدى أوف بعهدكم و إياى فارهبون ٢ : ٤٠) ثم عاد عليه حيث قال : (يا بنى اسرائيل أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم

و انى فضلتكم على العالمين ٢:١٢١) .

٢ — وهكذا قال تعالى فى هذه السورة : (وحافظوا على الصلوات و الصلوة الوسطى و قوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا أو ركـبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ٢:٢٣٨-٢٣٩) فذكر فى خاتمة الباب بالصلوة و الذكر ، كما بدء بها القسم العملى ، حيث قال : (فاذكرونى أذكركم و أشكروا لى و لا تكفرون . يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلوة إن الله مع الصابرين ٢:١٥٢-١٥٣)

٣ — و هكذا جاء فى أول سورة المومنون حيث قال تعالى : (قد أفلح المومنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون ٢٣ ١-٢) ثم قال فى خاتمة الجملة (و الذين هم على صلوتهم يحافظون ٢٣:٩) فبدء بالصلوة و ختم بها

٤ — و هكذا جاء فى سورة بنى اسرائيل حيث قال تعالى : أولا (لا تجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموما مخذولا ١٧:٢٢) ثم ختمه بقوله (و لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا ١٧:٣٩)فرجع عوداً على بدء .

٥ — و هكذا جاء فى أول سورة الحشر حيث قال تعالى : (سبح لله ما فى السموات و ما فى الأرض و هو العزيز الحكيم ٥٩ : ١) ثم قال فى آخر الســورة : (يسبح له ما فى السماوات و الأرض ، هو العزيز الحكيم ٥٩: ٢٤) فعاد إلى ما بدء به .

٦ — وهكذا جاء فى أول سورة الممتحنة حيث قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق الآية ٦٠:١) ثم قال فى آخرها : (يا أيها الذين

آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ٦٠:١٣)

٧ — وهكذا جاء فى سورة المعارج حيث قال تعالى: (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ٧٠:٢٢-٢٣) ثم عاد على البدء و قال: (و الذين هم على صلاتهم يحافظون ٧٠:٣٤) و هذا كثير.

و المقصود منه تنبيه على أصل الأمر، اهمه. و هكذا فى التوراة: الباب العشرون من كتاب خروج يبتدء بالأحكام العشرة. فبدء بالتوحيد و ختم به (١).

(٥) و منها التفصيل بعد الاجمال

التفصيل بعد الاجمال أسلوب عام فى القرآن و كلام العرب و فى ذلك فوائد:

فمنها: أن الحكيم يعلم أن الكلام المحكم يحتوى على أمور غامضة، فيفهم الغامض حيث لا تفصيل له

و منها: أن القاصر الفهم يفهم ما لم يفهمه أولا. و هذا يشبه تكرار القول.

و منها: أن المحكم خفيف. فيستحضر به معان جمة فى لمحة. و فى التفصيل يمضى المتقدم فيأتى المتاخر. و المركب الممتزج أكثر لذة و أكبر حسناً.

و منها: تسهيل التعليم. فان المحكم يحتوى الكليات. فيسهل العلم

(١) هذا كله مقتبس من مقدمته رح الخطية لتفسير سورة البقرة (الجامع)

و العمل من وجوه. لكونه بينا عند العقل، و بديهى الحسن عند القلب و أخف ثقلا عند القبول، فيسرعون إلى تحمله.

و منها: أنه كالبذر و الأصل، فيقدم و يعدهم للتفصيل. كما قال تعالى: (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ١١:١) و فى قوله تعالى: «حكيم خبير» دلالة على فوائد - - - - - - - -

(٦) و منها الاقتصار على بعض الشئ

الاقتصار على ذكر طرف من تمام الأمر لتصميم النظر، ففرق أحوال الآخرة، و لو ذكرها كلها فى موضع واحد، لم تنطبع فى قلوبهم و من ذلك أنه تعالى يذكر حالا واحداً على وجوهه المختلفة، مرة بالاجمال و مرة بالتفصيل و مرة على وجه و أخرى على وجه آخر - - - - -

(٧) و منها ذكر الأثر لما يخفى

و هو الدلالة على حقيقة المعنى بذكر الأثر لما يخفى، مثلا: (الذين آمنوا و عملوا الصالحات) و هذا كثير. و كما قال تعالى فى نعت داؤد عليه السلام: (و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب ٣٨:٢٠) و كما قال تعالى: (هدى للمتقين، الذين يومنون بالغيب و يقيمون الصلوة و مما رزقناهم ينفقون ٢:٢-٣) فان التقوى صفة باطنة، و هى الاجتناب عما يضر، فهى جامعة للعزم و الحزم، فتحث على النظر فيحصل منه الايمان بما هو غير مشهود. ثم هذا الايمان أيضاً صفة باطنة، و لكن من آمن بما دل عليه النظر. فعل حسب ذلك، فلابد أن يصلى وينفق كما هو مبسوط فى موضعه.

(٨) ومنها وجوه الوصل والفصل

و على ذلك أساس النظم و عليه تدور رحى الكلام . فمن لم يعرفها رأى نظم الكلام مختلا و لم يفهم المراد ، و خفى عليه حسن النظام و بلاغته . و الآن نذكر وجوه الوصل و الفصل .

فاعلم أن الكلام فى هيأته الظاهرة كالخط المستقيم ، يرد عليك بعضه بعد بعضه . و لكنه من حيث المعنى ربما يكون ذا فصل

إذا حذف من بينه بعض الأجزاء . لوجوه ذكرناها فى باب الحذف . و حينئذ لايرى متصلا إلا بعد أن ينتبه السامع لما حذف . فيحضره فى نفسه .

أو إذا أدخل بينه معنى آخر على سبيل الاعتراض ، لوجوه ذكرناها فى باب الاعتراض . و حينئذ يرى النظم مختلا إلا إذا كان السامع ذكوراً لمساق الكلام ، فيرجع إلى عموده .

أو إذا انتقل من معنى إلى معنى لمناسبة خفية ، ينتبه لها المخاطب الجدير بهذا الكلام . وبيان المناسبة يكون فضولا عنده . وذكرناها فى باب الانتقال .

أو إذا صرف وجه الكلام من مخاطب إلى مخاطب . و حينئذ يخطف بصر الغافل عن المعنى إلى صورته فيتحير ، و ذلك لأنه لايتمسك من معنى الكلام إلا بعضه . و هذا يدخل فى باب الالتفات - - - -

---

من افاداته رح :

• إنى فاعل هذا ، من دلالته : لابد أن أفعله كما قال تعالى : (و الله متم نوره و لو كره الكافرون ٦١:٨) و فى موضع آخر : (و يابى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون٩:٣٢) و من هذا قوله تعالى : (و لا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ١٨:٢٣-٢٤) أى إلا أن تقولوا : أن يشاء الله .

(٩) و منها اختلاف الأساليب فى العطف وغيره

كما ترى فى قوله تعالى : (و كذلك نفصل الآيات و لتستبين سبيل المجرمين ٦:٥٥) و قوله تعالى : (و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين ٦:٧٥) و قوله تعالى : (و هـذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه و لتنذر أم القرى و من حولها ٦:٩٢) وقوله تعالى : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا ٣ : ١٦٦-١٦٧) و ذلك ليدل به على ما هو مقدر فى المعطوف عليه . فكأنه قيل : و كذلك نفصل الآيات لتستبين آياته . و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات و الأرض ليكون على علم . و هذا كتاب ليصدق الكتب السابقة . و ما أصابكم يوم اللقاء فباذن الله لكيلا تحزنوا .

و ربما يبدل الأسلوب فى آيات من موضعين ، ليدل به على المقدر على وجه التفسير كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ٤:١٣٥) و فى موضع آخر : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ٥:٨) فالمراد فى الأول كونوا قوامين لله بالقسط ، شهداء لله بالقسط ، و هكذا المراد فى الثانى ، فسكت عن شئ و دل عليه و بذلك بين أسلوب التعانق .

و من تبديل الأسلوب قوله تعالى فى سورة يونس آية٧٦-٧٧(فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هـذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا . و لا يفلح الساحرون) فقولهم : (إن هذا لسحر مبين) كقولهم : (اسحر هذا) فاستفهام الانكار كاثبات ما أنكر ، و الاستفهام ياتى للاثبات و النفى كليهما - - - - - - - - -

(١٠) و منها الاعتراض

و هو كثير ، و على وجوه ، و له فوائد :

فمنه قوله تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً . ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون. سبحان الله عما يصفون . إلا عباد الله المخلصين ٣٧:١٥٨-١٦٠) فقوله تعالى : (سبحان الله عما يصفون) اعتراض . أى انهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين .

و منه قوله تعالى : (فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون . و له الحمد فى السماوات و الأرض ، وعشيا و حين تظهرون ٣٠:١٧-١٨) فى هذه الآية (و له الحمد فى السماوات و الأرض) اعتراض .

و منه قوله تعالى : (و جعلوا لله شركاء الجن و خلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ٦:١٠٠) فى هذه الآية (و خلقهم) اعتراض .

فهذه جملات صغيرة ، ثم ترى الجملات الطويلة ، و الربط بين ما قبلها و ما بعدها أشد . و هذا ربما يكون متصلا بالسابق . و منه قوله تعالى فى سورة الاعراف : (و اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل و أياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء و تهدى من تشاء أنت ولينا فاغفرلنا و ارحمنا و أنت خير الغافرين و اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة إنا هدنا إليك . قال عذابى أصيب به من أشاء و رحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزلوة و الذين هم بآياتنا يومنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى

الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة و الانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم اصرهم و الاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه و نصروه و اتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات و الأرض لا إله إلا هو يحيى و يميت ، فآمنوا بالله و رسوله النبى الأمى الذى يومن بالله و كلماته واتبعوه لعلكم تهتدون و من قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون . وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً امماً و أوحينا إلى موسى إذ استقصاه قومه أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً ٧:١٥٥-١٦٠) إلى آخر القصة التى تجرى إلى اثنتى عشرة آية بعد ذلك . فقوله تعالى : (قل يا أيها الناس) إلى قوله « يعدلون » اعتراض دعاه ما سبق . وأرى أن قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول) إلى قوله « المفلحون » . أيضاً اعتراض . لاظهار عموم الرحمة لمن آمن بالمسيح عليه السلام قبل ذلك . و للتنبيه على أن الرحمة لهم خاصة فانه جاء فى القرآن كثيراً إن من لم يومن بالمسيح يصعب عليه الايمان بهذا النبى نتيجة لكفرهم الأول .

و منه قوله تعالى فى سورة مريم : (قال إنى عبد الله آتانى الكتاب و جعلنى نبياً و جعلنى مباركا أينما كنت و أوصانى بالصلوة و الزكوة مادمت حياً و برا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا و السلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حياً . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ١٩:٣٠-٣٦)

فقوله تعالى : (ذلك عيسى بن مريم) — إلى قوله — (كن فيكون) اعتراض - - - - - - - - - -

(١١) و منها استعمال أسلوب عوض أسلوب

استعمال أسلوب كلام فى محل أسلوب آخر ، إما لكون المستعمل أوضح و أقرب ، و إما لكونه أوكد و أشد ، و لذلك وجوه - - -

(١٢) و منها الزيادة

الزيادة قليلة فى كلام العرب لولوعهم بالايجاز . و لكن ربما يزيدون كلمة للتاكيد أو التوضيح . و لابد من العلم بمواقعها . لكيلا نجعل ما هو المقصود زائداً فنبدل المعنى - - - - - - - - - -

---

من افاداته رح :

قال الله تعالى : (إنه (أى القرآن المخبر عن الجزاء) لقول رسول كريم و ما هو بقول شاعر . قليلا ما تومنون و لا بقول كاهن . قليلا ما تذكرون ٦٩:٤٠-٤٢)

فى هــذه الآية : (قليلا ما تومنون) للتعجب اى كونه قول رسول كريم . ظاهر . بين . يومن به من كان له أدنى بصيرة و فكر فى نفسه . و ليس بقول شاعر . و لكن ما أقلكم ايماناً إذ تجعلونه قول شاعر ، و ما أقلكم تذكراً ؛ أو تجعلونه قول كاهن .

من افاداته رح :

رجوع الضمير إلى مفهوم غير مذكور . كثير فى كلام العرب .
و منه ما جاء فى القرآن الحكيم : (و مريم بنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه (أى ابنها) من روحنا ٦٦:١٢)

(١٣) و منها الاستفهام

الاستفهام يدل على معان كثيرة بطريق الكناية ، و ربما يجمع عدة معان مثلا : يجمع الاستبعاد و التحقير ، و لذلك لابد من شرح أمثلته ليسهل تعيين المراد من بين المعانى المختلفة .

الاستفهام يكون بالاثبات و بالنفى . و لكل دلالة أنظر فى الأمثلة :

(١)

ألستم خير من ركب المطايا ‏ ‏ ‏ و اندى العالمين بطون راح

فيه تنبيه للخاطب على أمر مشهور بين الناس مع ذهوله عنه . و بذلك دل على أن الجود منه عادة و سجية و ليس للسمعة و التنافس

(٢)

« ألست ترى السماء و الناس أحوالى »

أى فعلك يدل على انك لا ترى و الامر بين ظاهر ، فاستفهم للتنبيه و الاستعجاب . و كذلك فى قوله تعالى : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ٧٥:٣) .

الاستفهام أجمع للمعانى الانشائية ، يتضمن الاقرار من المخاطب بما نكارته ظاهرة . كما قال تعالى : (أفتومنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحيوة الدنيا الآية ٢:٨٥) .

و من فوائده : التاكيد ، و الاقرار ، و التنبيه ، و الانكار ، و الزجر ، و الأمر ، و التحقير . فمن الأمر ما جاء من قوله تعالى : (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله و ان لا إله إلا هو فهل أنتم

مسلمون١١:١٤) و أيضاً على تاويل : (و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون و كان ربك بصيراً ٢٥:٢٠) و أيضاً : (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إنى كان لى قرين يقول ائنك لمن المصدقين ـ أ إذا متنا و كنا تراباً و عظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرأه فى سواء الجحيم ٣٧:٤٩ـ٥٤) فقوله تعالى : (هل أنتم مطلعون) أمر . وكذلك فى الأمثلة السابقة .

و من التحقير ما جاء : (أئنك لمن المصدقين ٣٧:٥١) و أيضاً : (إذ قال لأبيه و قومه ماذا تعبدون . آإفكا آلهة دون الله تريدون ٣٧: ٨٥) و أيضاً : (قال لمن حوله الا تستمعون ٢٦:٢٥) و أيضاً ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

١٤) و منها الشرط

الشرط يستعمل على وجوه و فيه دلالات جمة :

فمنها : الزام أمر باقرار المخاطب ، مثلا قوله تعالى : (قال اتقوا الله إن كنتم مومنين ٥:١١٢) أى يلزمكم التقوى ، فانكم مقرون بايمانكم .

و منها : اظهار الانكار من القائل ، مثلا قوله تعالى : (بئسما يامركم به ايمانكم إن كنتم مومنين ٢:٨٦) أى لستم بمومنين ، فان ايمانكم يامركم بالسوء .

و هذا المثال يجمع الدلالتين و تشد احداهما الأخرى . و فيه اشارات جمة .

من افاداته دم :

الاستفهام للامر . كما قال تعالى : (و قيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين٢٦:٣٩-٤٠) وقال أيضا : (إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر و يصدكم عن ذكر الله و عن الصلوة فهل أنتم منتهون٥:٩٠)

و من وجوه استعمال الشرط حذف الجزاء و ذكر الدليل ـ ـ ـ ـ كما جاء فى سورة آل عمران آية : (بلى من أوفى بعهده و اتقى . فان الله يحب المتقين ٣:٧٦) فحذف جواب الشرط و استغنى بذكر الدليل عن ذكر المدلول ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

(١٥) و منها الفصل بين المتصلين

القطع بين المتصلين بادخال جزء آخر من أجزاء الكلام غير المعترضة كالقطع بادخال الفاعل بين الموصوف والصفة ، إذا كان الموصوف مفعولا مقدما و الصفة طويلة ، لكيلا يبعد الفاعل عن الفعل . و قد قدم المفعول لبعض أسباب التقديم كقوله تعالى : (يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيراً ٦:١٥٨) ـ ـ ـ

(١٦) و منها استعمال الحال

استعمال الحال على وجوه :

فمنها الحال من المضاف إليه . و منه قوله تعالى فى سورة الشعراء آية : (فظلت أعناقهم لها خاضعين ٢٦:٤) ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

الحال عن المجرور عام فى كلام العرب و جاء فى القرآن . و إذ أخطأ فيه النحويون نذكر الشواهد : قال أبو ذويب الهذلى :

و لتاتين عليك يوم مرة يبكى عليك مقنعاً لا تسمع

و قال إمرء القيس :

فلما أجن الليل عنى غبارها نزلت إليه قائماً بالحضيض

و قال أشجع بن عمرو السلمى و هو اسلامى :

فاصبح فى لحد من الأرض ميتاً وكانت به حياً تضيق الصحاصح

و قال اعشى بكر بن وائل :

و قيامى عليه غير مضيع قائماً بالغدو و الآصـال

و قال إمره القيس :

كان سراته لدى البيت قائمـاً مداك عروس أو صلاية حنظل

و قال نابغة بنى جعدة :

تلألأ كالشعرى العبور توقدت و كان عماء دونها فتحسرا

و قال أيضاً :

و نهنهته حتى لبست مفاضة مضاعفة كالنهى ريح و امطرا

و قال أبو ذويب :

و بدا له أقراب هذا رائغاً عجلا فعيث فى الكنانة يرجع

و قال لبيد :

بانت و اسبل واكف من ديمة يروى الخمائل دائماً تسجامها

و قال إمره القيس :

تلاعب أولاد الوعول رباعها دوين السماء فى رووس المجادل

مـكللة حمراء ذات أسرة بها حبك كانها من وصائل

و قال أمية بن أبى الصلت :

فهل تخفى السماء على بصير و هل بالشمس طالعة خفاء

و قالت الخرنق أخت طرفة :

غداة أتاهم بالخيل شعثاً يدق نسورها حد القضاض

و قال أعشى قيس :

عوداً على بدء كر ما يلينهم كر الصقور بنات الماء تختطف

- - - - - - - - - - -

(١٧) و منها الاثبات

لاثبات الشئ و اسناد أمر إلى مسند إليه ، وجوه :

١ — اثبات الفعل إلى بعض الأسباب . مثلا : (رب انهن اضللن كثيراً من الناس١٤:٣٦)

٢ — - - - - - - - - - - -

(١٨) و منها النفى

لاستعمال النفى وجوه :

فمنها : نفى اللازم للدلالة عـلى نفى الملزوم ، كما قال إمره القيس : « لا يهتدى بمناره » ، و هو كثير . فعلى هذا الأسلوب قوله تعالى : (قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات و لا فى الأرض ١٠ : ١٨) « لا يعلم » أى لا وجود له فان وجود الشئ يلزمه أن يكون معلوما لله تعالى . و منه قوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلوة و ايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الأبصار٢٤:٣٧) فعند

من افاداته رح :

نسبة الفعل إلى البارى تعالى ، لها دلالات :

فمنها : ان ذلك الفعل لا مرد له . كقوله تعالى : (فمن يهدى من أضل الله ٣٠:٢٩) ولكن النسبة لها وجوه و أسباب - - - - - - - -

بعض المفسرين إن هذا وصف المتبتلين لذكر الله ، أى لا يباشرون التجارة و البيع بأنفسهم .

و منها : ارادة الاثبات لمخالف المنفى ، مثـــل : (لا يحب) بمعنى يبغض و هذا كثير .

و منها : نفى الفعل من جهة النتيجة ، وذلك فى الحقيقة من باب نفى الفعل بمعنى خاص وهو أن يراد منه النتيجة مثلا : (و ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ١٧:٨) و أيضاً : (فلم تقتلوهم و لكن الله قتلهم ١٧:٨) .

و منها : مبالغة النفى إذا دخل على المبالغة ، مثلا : (و أن الله ليس بظلام للعبيد ١٨٢:٣) و كثر فى كلام العرب ، قال إمرء القيس : « و المرء ليس بقتال » ، و أيضاً قال : « فليس على شئ سواه بخزان »

و منها : تحتم النفى فى المستقبل ، إذا دخل على كان و اسم فاعل. مثلا : (و ما كانوا مهتدين ١٦:٢) و مثله « ما كان ليفعل » مثلا : (و ما كانوا ليومنوا ١٣:١٠)

و منها : نفى الوقوع و أحياناً نفى الجواز ، كما فى قوله تعالى : (فلا رفث و لا فسوق و لا جدال فى الحج ١٩٧:٢) و منه قوله تعالى : (لا تبديل لخلق الله ٣٠:٣٠) وعدم فهم هذا المعنى أورد كثيراً ممن ادعى الاجتهاد مع الجهل بلسان العرب موارد سوء ، فاجترء على تحريف القرآن من حيث لم يدر - - - - - - -

(١٩) و منها التكرار

ربما يكرر اللفظ لبعده عما يتم الجملة التى صدرها ذلك اللفظ . مثاله

قوله تعالى : (فلولا إذا بلغت الحلقوم و أنتم حينئذ تنظرون . و نحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ٥٦ : ٨٣-٨٧) فكرر « لولا » لما قطع عن تمامه لاعتراض الجمل .

و أيضاً : و هو شبيه بتكرار اللفظ ، و هو قوله تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم و كفرهم بآيات الله و قتلهم الأنبياء بغير حق و قولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون إلا قليلا . و بكفرهم و قولهم على مريم بهتاناً عظيما . و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم ، و إن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه و كان الله عزيزاً حكيما . و إن من أهل الكتاب إلا ليومنن به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيداً . فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم و بصدهم عن سبيل الله كثيراً و أخذهم الربو و قد نهوا عنه ، و أكلهم أموال الناس بالباطل و اعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما ٤ : ١٥٥-١٦١) .

و أرى أن فى هذا المثال حذفا وتبديلا . والمعنى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، فحذف ذكر اللعن و دل عليه قوله تعالى : (فلا يومنون) وأيضاً قوله تعالى : (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) و موقع الكلام ينادى بما حذف من كل جانب - - - - - - - -

(٢٠) و منها البدل

المجى بالبدل فى محل المبدل منه . و نسبة الأمور التى تختص به إلى البدل أسلوب عام ، كنسبة الجزاء و اللقاء إلى الرب مع أن النسبة فى الحقيقة إلى صفة العدل . و من هذا الباب : تسلسل الشياطين فى شهر رمضان ، فهمنا الشيطان بدل من صفاته . و مثله : « حفت الجنة بالمكاره » فالجنة بدل عن الأعمال الموصلة بالجنة . و منه : (يداه مبسوطتان ٥:٦٤) و منه : (استوى على العرش ١٠:٣) و هذان الأخيران نوع خاص . و لكن الأصل واحد - - - - - - - - - - -

---

من افاداته رح :

تقسيم البدل إلى الكل . و البعض . و الغلط .. تخليط . العرب تستعمل البدل لايضاح الأمر و ذلك :

١ - بتعيين بعض الشئ . فان الأمر ربما ينسب إلى الكل . كقولك : أكلت السمك . فنسبت الأكل إلى السمك مبهما .

٢ - و تعيين المحل والحال . فانك ربما تنسب الأمر إلى أمر قام بمحل و نسبة الأمر إليهما . كما قال تعالى : (قد أنزل الله إليكم ذكراً : رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ٦٥:١٠-١١) و هذا البدل مثلما جاء فى القرآن : (و لقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين ٤٤:٣٠-٣١) فجعل فرعون بدلا من العذاب كأنه نفس العذاب .

و كما قال زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلايا عرفت الدار بعد توهم
أثافى سفعاً فى معرس مرجل ... و نويا كجذم الحوض لم يتثلم

و فى هذين المثالين يرى أن فعلا آخر مناسباً للبدل مقدر .

من افاداته رح .

البدل يكون بالواو و بغير الواو . و اعرابه ربما يكون حسب المحل . مثلا قوله تعالى : (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين ٦:١٦١)

(٢١) و منها الوصف

و له وجوه :

فمنها : وصف الشئ وتسميته بما كان متوقعاً وإن لم يقع ، كما قال جرير :

لولا الخليفة يا اخيطل ما نجا ... أيام دجلة شلوك المأكول

و من هذا قوله تعالى : (كعصف مأكول ١٠٥:٥)

و منها : ربما يوتى بالوصف للاستدلال ، كما قال تعالى : (و ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ٣:١٢٦) و فسره بقوله : (و ما النصر الا من عند الله إن الله عزيز حكيم ٨:١٠)

و منها : ربما يأتى الوصف للقيد و التخصيص و - - - - -

و منها : ربما يأتى للتاكيد .

و منها : ربما يأتى للبيان ، و هذا لفوائد من المدح و الذم .

و منها : استعمال الصفة المحض مكان الاسم ، كما قال تعالى : (ألا يعلم من خلق) أى لا يعلم الله الذى خلق .

(٢٢) و منها التنكير و التعريف

النكرة ربما يراد به الخاص الذى دل عليه سوق الكلام ، كما قال تعالى : و وهبنا له اسحق و يعقوب كلا هدينا ٦:٨٤) و أيضاً : (و زكريا و يحيى و عيسى و الياس كل من الصالحين ٦:٨٥) و أيضاً : (و اسمعيل و اليسع و يونس ولوطا و كلا فضلنا على العالمين ٦:٨٦)

من افاداته رح :

استعمال النكرة ربما يكون للتعميم كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد ٥٩:١٨) فههنا نفس معناه كل نفس .

(٢٣) و منها العطف بالواو

و له وجوه :

فمنها : البيان ، مثلا : (و إذا أنزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنانكن مع القاعدين ٨٦:٩) « فجاهدوا » بيان « لآمنوا » ، و كذلك : « و قالوا ذرنا » بيان « لاستاذنك »

من افاداته رح :

الاختلاف بين المعطوف و المعطوف عليه

فى العبرانية تجد فقرتين كما تجد فى العربية فى النثر المقفى ، و لكن تجد فى العبرانية احدى الفقرتين فعلية و أخراها اسمية . فكذلك ربما تجد فى القرآن و العربى الفصيح . كما قال إمرء القيس:

فدمعهما سح و سكب و ديمة ورش و توكاف و تنهملان

و جاء فى القرآن : (و سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ١٢:١٦ ومثل ذلك : (و ألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم و أنهاراً و سبلا لعلكم تهتدون و علامات و بالنجم هم يهتدون ١٥:١٦-١٦) و مثل ذلك : (و إذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ١٦ : ٢٤) و خلاف ذلك على أسلوب عامة العرب كما قال : (و قيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ٣٠:١٦) و كذلك تجد كليهما معاً : (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون ـ ـ سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ٩٩.١٦-١٠٠) ومثل ذلك: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ؛ ليثبت الذين آمنوا و هدى و بشرى للسلمين١٦:١٠٣)

من افاداته رح :

ايراد حرف العطف و تركها

قال تعالى : (التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون ، الآمرون بالمعروف ١١٢:٩) .

و قال تعالى : (الصابرين والصادقين و القانتين و المنفقين و المستغفرين بالاسحار١٧:٣)

و قال تعالى : (أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ٢٩:٤٨)

فتامل فى ايراد حرف العطف و تركها .

من افاداته رح :

محل الواو (هذا يثبت ضرورة الفكر والتدبر)

١ — ياتى النظم بالواو : على الخاص بعد العام ، تنويها بذكره أو تفصيلا . أو على المتقابل بعد المتقابل - - - - - - - -

و منها : ذكر النتيجة ، مثلا : (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف و طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٨٧:٩) - - - - - - - - - - -

(٢٤) و منها الترديد

الترديد بكلمة « أو » قد ياتى للتقسيم . مثلا قوله تعالى : (أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً ٢٤:١٠) أى على بعضها ليلا و على بعضها نهاراً

و أيضاً قوله تعالى : (دعانا لجنبه او قاعداً أو قائماً ١٢:١٠) - - - -

(٢٥) و منها التقديم و التاخير

و ذلك باب الترتيب .

فاعلم أن الترتيب يكون على أنحاء شتى ، و الشئ يقدم و يوخر لوجوه ، و ليس أن المقدم أفضل فى كل موضع . كما قال تعالى : (فمنهم ظالم لنفسه ، و منهم مقتصد ، و منهم سابق بالخيرات ٣٢:٣٥) .

و ترى المفسرين كثيراً أنهم يقولون : هذا تقديم ما حقه التاخير . و إنى لا أحب هذا القول ، و كل موضع ذهبوا فيه إلى هذا القول ، لم أجد أمراً خلاف ما حقه - - - - - - - - - -

من افاداته رح :

الترتيب و الأسلوب

ترى فى آية واحدة ترتيباً وأسلوباً ؛ مثل ما ترى فى سورة . وكذلك فى القصار مثل ما تراه فى الطوال . فلنذكر الأساليب و أوضاع الترتيب كما هى فى آية واحدة أو سورة قصيرة فمنها :

(١) تبديل المعطوف نحواً . و الامثلة كثيرة .

(٢) تقريب ما يمكن تاخيره . كما فى قوله تعالى : (و لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما و أجل مسمى ١٢٩:٢٠)

(٣) - - - - - - - - - - -

(٢٦) و منها التخليص

التخليصات فى القرآن كثيرة . و أنظر فيما جاء فى :

١ — سورة المومنون آية ٢٢-٢٣ (و عليها و على الفلك تحملون . و لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون)

٢ — و سورة الأنبياء آية ٣١ (. . . . و جعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون) . و هذا مثل ما جاء فى سورة المجادلة آية ١١ (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم و إذا قيل أنشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم) و ليس هذا من باب الشعر ، بل هو الحق ، لأن الأعمال الصغيرة تجلب أمثالها ، إن خيراً فخير و إن شراً فشر . و لذلك أمثلة فى القرآن مثل ما جاء فى سورة الصف آية ٤ (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) و ـ ـ ـ ـ ـ ـ

٣ — و سورة النحل آية ٥-٩ (و الانعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تاكلون . و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون . و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤف رحيم . و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة . و يخلق ما لا تعلمون . و على الله قصد السبيل و منها جائر و لو شاء لهداكم أجمعين)

٤ — و سورة النحل آية ١٤-١٦ (و هو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً و تستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون . و ألقى فى الارض رواسى ان تميدبكم

(لما فى بطنها من قوة النار) و أنهاراً و سبلا لعلكم تهتدون (أى تهتدون إلى ذكر رحمته و ربوبيته و وحدانيته كما قال : و لعلكم تشكرون) و علامات و بالنجم هم يهتدون) أى كما أنه تعالى جعل لهم علامات فى الأرض و سبلا ، فكذلك جعل لهم علامات فى السماء ، فكلمة «تهتدون» تخليص من الباطن إلى الظاهر و موقعها عجيب بعد قوله : (سبلا) وكذلك موقع «سبلا» بعد «انهاراً» ، فان الأنهار أيضاً سبل .

و هكذا فى سورة الزخرف آية ٩-١٤ (و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم . الذى جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون . والذى نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتاً ، كذلك تخرجون . و الذى خلق الأزواج كلها و جعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون . لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه و تقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين . و إنا إلى ربنا لمنقلبون)

فبين ههنا أنه إذا ركبنا الفلك و الانعام ، ينبغى لنا أن نذكر نعمة ربنا بأنه تعالى سخر لنا هذا ، و انا عليها بعد الاسفار منقلبون إلى أوطاننا فكذلك منقلبون إلى مولانا الحق ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

(٢٧) و منها التعميم و التخصيص

و فيه بيان نسبة الفعل بصيغة الجمع إلى المجموع من حيث المجموع.

ربما يجعلون العام ، أعم مما هو المراد مثلا فى قوله تعالى : (و ما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى٥٣:٣-٤) فالنطق المراد ههنا هو النطق بما أوحى إليه من الكتاب ، و هذا كثير فى القرآن . مثلا : (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء١١:٥٤) - - - - - -

و من هذا الباب نسبة الفعل بصيغة الجمع إلى المجموع من حيث هو مجموع . فلا ينسب إلى كل فرد ، فرد . مثلا قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر وتومنون بالله ٣:١١٠)

فزعم ابن تيمية رحمه الله ان الأمر بالمعروف واجب على كل فرد من هذه الأمة . و على هذا أخطأ فى تاويل قوله تعالى : (و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير الآية٣:١٠٤) فزعم أن « منكم » ليس للتبعيض فتمسك بالنادر و ترك الكثير الشائع . و هذا مخالف لأصول التاويل ، ومخالف للسنة ، و مخالف للحكمة ، و مخلف للشاهد القريب ، فان بعد هذه الآية بقرب منها جاء قوله تعالى : (و من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون ٣ : ١١٣) فليس المعنى ان أهل الكتاب كلهم هكذا - - - - - - - -

(٢٨) و منها اختلاف الصلة و الفعل

و هو أن تأتى بصلة للفعل على خلاف معناه ، و ذلك بأن تضمر مع الفعل فعلا آخر و تدل بالصلة حسب هذا الفعل المضمر . كما تقول : قمت إليه . أى قمت و مشيت إليه . و أيضاً كما تقول : دخلت عليه . أى دخلت بيته و قمت عليه . فعلى هذا يجئ كثيراً فى كلامهم . مثلا : « سل الهمّ عنك » أى سل نفسك و ادفع الهم عنك - - - - - - - - - -

(٢٩) و منها المقابلة و التفصيل

من الأساليب الكثيرة الوقوع فى القرآن . المقابلة و التفصيل . مثلا فى المقابلة قال تعالى : (الحمد لله الذى خلق السماوات و الأرض . وجعل الظلمات و النور٦:١) و هذا النمط كثير . و كذلك التفصيل . مثلا قال تعالى : (هو الله الخالق البارى المصور ٥٩ : ٢٤) فالبرء و التصوير

من افاداته رح :

إذا كان الفعل يقتضى صلة و يصل بغيرها ، وربما يجمع بين استعمالين مثل قوله تعالى : (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفاً٦:١٦١) جاء « هدانى » بالى وبغير إلى و كذلك قوله تعالى : (فامسحوا برؤسكم و ارجلكم إلى الكعبين ٥:٦) جاء « امسحوا » بصلة الباء و بغيرها . و لذلك قال ابن عباس رضى الله عنه : إن القرآة جاء بالمسح فى الرجل . و إنما ثبت غسل الرجلين بالسنة . و تمسكوا بالغسل لحديث ويل للاعقاب : ففهموا مصلحة الغسل .

من افاداته رح :

الفعل ربما يأتى للدوام : مثلا قال تعالى : (و ان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى و يوت كل ذى فضل فضله و إن تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير ١١:٣) فقوله تعالى : « توبوا » و قوله تعالى : « تولوا » أريد به الدوام .

تفصيل للخلق من جهة المعنى الجامع للخلق . و أيضاً تفصيل كله من جهة المعنى الأولى للخلق و هو التقدير، فالتقدير أول الأمر . ثم يكون البرء ، ثم يكون التصوير .

وبعد ما علمت ذلك ، فاعلم أن من المقابلة ما هو خفى مثلا : (خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فاحسن صوركم وإليه المصير ٣:٦٤) فقوله : « وإليه المصير » مقابل لقوله : « خلق » فان الخلق هو البداية و الخروج ، والمصير هو الرجوع . وكذلك من التفصيل ما هو خفى . و هو كثير . مثلا : (له الملك و له الحمد و هو على كل شئ قدير ١:٦٤) فالملك ربما يكون بالظلم و التغشم ، و ربما يكون بالرحمة ، و إنما يحمد ما يكون بالرحمة . و كذلك ربما يكون الملك بقوة الأعيان . فبين أن ملكه بالرحمة و القدرة المحيطة . فلا شريك له - - - - - - - -

(٣٠) ومنها اختلاف الوضاحة على التقابل

قوله تعالى : (يعلمون ظاهراً من الحيوٰة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون ٧:٣٠) فيه أسلوب اختيار الوضاحة على التقابل فلم يقل : « و هم عن الباطن هم غافلون » و بهذا دل على أن باطن الحيوٰة الدنيا من قسم الآخرة ، و الدليل عليه قوله تعالى : « يعلمون ظاهراً » ، و منه يفهم معنى من افاداته رح :

مثال الدلالة بالتقابل كما فى قوله تعالى : (فاما من طغى و آثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ٧٩:٣٧-٤١) أى من طغى عتوا و تكبرا ، و لم يخف مقام ربه ، فارسل النفس إلى هواها . فانه لو خاف ربه لم يطغ وكبح النفس . فهو لا محالة يوثر الحيوة الدنيا فانها هى العاجلة ، و النفس توثر العاجلة ، و إنما تنبذها لخوفها مقام ربه .

قوله تعالى : (لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل ١٧٩:٧) أى يعلمون الظاهر المحسوس و لا يعلمون الأصل الذى تحته . كاهل الحشو و اللهو . فيرون و لا يرون - - - - - - - - -

(٣١) و منها الابهام ثم الايضاح

من أساليب القرآن الابهام ثم الايضاح . كما فى قوله تعالى : (إن الذين آمنوا ثم كفروا ، ثم آمنوا ثم كفروا بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ١٣٧:٤) و كما قال تعالى : (و إذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه ، أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا كها ٣٧:٣٣) و كما قال تعالى : (فاستفتهم ألربك البنات و لهم البنون . أم خلقنا الملائكة إناثاً و هم شاهدون ١٤٩:٣٧-١٥٠)

و من ذلك أن عمود الكلام لا يظهر من الأول ، و لكن إذا اقتفيت الكلام جاء بك بالسهولة إلى ما عمد إليه . و كشف لك القناع . و هكذا جرت العادة بين الناس . ألا ترى أن العاقل إذا رأى الوحشة من المستمع ، لا يبدء بمقصده بل يمهد له ثم يأتى به واضحاً . ألا ترى كيف بدء الكلام مومن آل فرعون و قال : (و إن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ٢٨:٢٠) فهذا « الشرط » و « البعض » لكيلا ينفروا حتى إنه قال فى آخر قوله : (وانا أدعوكم إلى العزيز الغفار ٤٢:٤٠)

ومثل ذلك فى سورة الزخرف آية ١٦-١٩ (أم اتخذ مما يخلق بنات

و اصفاكم بالبنين . - - - و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) و هكذا التدرج فى كلام ابراهيم عليه السلام حين كسر اصنامهم - - -

(٣٢) و منها تضمن القول دليله

و من الاساليب الكثيرة الوقوع ، تضمن القول دليله . وهذا أكثر الأساليب وقوعا و ألطفها . مثلا قال تعالى : (يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشاً و السماء بناء و أنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقالكم، فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون٢:٢١-٢٢) فقوله تعالى : (أعبدوا ربكم) يتضمن الدليل الواضح . فان العبد إن لم يعبد ربه فمن ذا الذى يعبده ؟

ثم بعد ذلك لم يذكر من صفات الرب إلا ما هو دليل كونه منفرداً فى استحقاق العبادة . و لذلك فرع عليه قوله : (فلا تجعلوا لله أنداداً و أنتم تعلمون) و هذا الأسلوب أكثر من أن تحصى ، و هو مفتاح حسن النظام و الحكمة و سلم التدبر - - - - - - - -

---

من افاداته رح :

أسلوب نظم القرآن

(١) نظم السور و الفصول يستنبط من نظم أجزاء آيات . مثلا قال تعالى : (امنوا وعملوا لصالحات ٣:١٠٣) فذكر سورة الايمان قبل سورة الاسلام بمائة .

(٢) يمكن أن يكون فى القصار مشابهة بالطوال . و الفرق فى الاجمال و التفصيل . فالمعانى التى ذكرت فى القصار كالبذر ذكرت فى الطوال مع ذكر جزيئاتها أو دلائلها المشهودة فى التاريخ .

(٣) - - - - - . - - -